نشر الشائعات والغزو الفكرى فى مصر الفاطمية

د. خضره جمال توفيق
مدرس التاريخ الإسلامي
كلية الآداب – جامعة المنيا

الملخص:

يتناول البحث دراسة لما قام به الفاطميون من نشر الشائعات فى مصر، كذلك قيامهم بغزو البلاد فكرياً ونشر أفكارهم، وقد ضمت الدراسة تعريف مصطلحي الشائعات والغزو الفكري، كما تناول البحث وسائل نشر الشائعات في مصر الفاطمية، وما قام به الفاطميون من إثارة البلبلة واختلاق الأزمات ونشر الشائعات، وقد تعددت وسائلهم فى نشر الشائعات، فمن هذه الوسائل (الجامع الازهر – دار الحكمة – الاحتفالات- المجالس (مجالس الوعظ ومجالس القصص) - الدعاة – خزائن القصر)، ثم عرضنا لنماذج من الشائعات (شائعة نسبهم - ألوهية الحاكم – نبوءة المعز لدين الله)، وكذلك تناولت الدراسة مظاهر الغزو الفكري الفاطمي التى تمثلت فى المؤلفات – الشعراء – القضاة- الفلك والتنجيم، .....وختمت الدراسة بنتائج الغزو الفكري الفاطمي.....

Abstract:

The study deals with a study of what the Fatimids did in spreading rumors in Egypt, as well as their intellectual invasion of the country and spreading their ideas. The study included the definition of the terms rumors, and intellectual conquest, as well as the means of spreading rumors in Fatimid Egypt, and what the Fatimids did in creating confusion, fabricating crises and spreading rumors, Their means of spreading rumors multiplied, among them are Al-Azhar Mosque - Dar Al-Hikma - Celebrations - Councils

(Preaching Councils and Story Boards) - Preachers - Treasury of the Palace, then we presented examples of rumors (their lineage common - the ruler's divinity - the prophecy of the Almighty to the religion of God), as well The study dealt with the manifestations of the Fatimid intellectual conquest represented in the literature - poets - judges - astronomy and astrology, and concluded the study with the results of the Fatimid intellectual invasion.

مقدمة:

ذُخِرَت المكتبات بالدراسات التى تناولت تاريخ الدولة الفاطمية فى مصر،وذلك لكثرة الأحداث التى أثرت وما زالت موجودة فى المجتمع المصرى حتى فى بعض العادات والتقاليد، وإن كان أغلب الدراسات قد ركزت على عمارة الفاطميين والحياة الثقافية، كذلك الإجتماعية، ولم تتطرق هذه الدراسات إلى الطريقة التى نجح بها الفاطميون فى بناء هذه المكانة لهم فى مصر، وذلك لمعرفتهم أن لمصر فضائل كثيرة منها أن الله عز وجل ذكرها في كتابة العزيز، تارة بصريح اللفظ وتارة إيماءً فقال تعالى:"اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم "، وقال تعالى:"ادخلو مصر إن شاء الله آمنين"، وقال تعالى مخبراً عن فرعون إنه قال:" أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون"، وقيل لم يكن في الأرض ملك أعظم من ملك مصر، وكان جميع أهل الأرض يحتاجون إلى مصر. وأما الأنهار فكانت قناطير وجسور بتقدير وتدبير حتى أن الماء يجري من تحت منازلها وافندتها فيحبسونه حيث شاءوا[١].

لذلك كانت مصر مطمعاً لكل قوى ترغب فى أن تزيد من قوتها ومن إتساع رقعتها من خلال سيطرتها على مصر؛ فكانت مصر تلوح للفاطميين وكانها درة خضراء؛ نظراً لموقعها الجغرافي الفريد، وقربها من مراكز الأمصار الإسلامية [٢]، هذا إلى جانب وفرة خيراتها فبها من المعادن معدن الذهب، والفضة، والزمرد والبقول التى لا تنبت الا بها [٣] .

ولذلك استغل الفاطميون ضعف الخلافة العباسية لنشر شائعاتهم وإدعاءاتهم في مناطق مختلفة من الدولة شملت فارس واليمن والمغرب والعراق ومصروغيرها، وكانت الولايات التابعة للخلافة العباسية من الفوضى والضعف بصورة مكنت للمذهب الاسماعيلي أن يذيع

وينتشر[٤]،وقد عَنِي الفاطميون عنايةً خاصة بغزو مصر؛ فإن موقع مصر الجغرافي بين الشرق والغرب، ووفرة ثروتها قد ساعدا على تحقيق أغراض الفاطميين من بث عقائد مذهبهم وافكارهم، ونشر شائعاتهم وبسط سلطانهم على البلاد الإسلامية في الشرق؛ لهذا لا نعجب إذا رأينا الخلفاء الفاطميين منذ خلافة المهدي*(٢٩٧-٣٢٢هـ /٩٠٩-٩٣٣م) يدأبون على امتلاك هذه البلاد فيرسلون الحملات البرية والبحرية لفتحها؛ فقد أرسل عبيد الله المهدي أول الخلفاء الفاطميين ثلاث حملات لغزو مصر: الأولى سنة ٣٠١هـ /٩١٣م، والثانية في سنة ٣٠٧ هـ /٩١٩م، ولم تنته إلا في سنة ٣٠٩هـ/٩٢٢م؛ في حين ابتدأت الحملة الثالثة في سنة ٣٢١هـ /٩٣٢م[٥]،واستمرت حتى عهد القائم بن المهدي سنة ٣٢٤هـ /٩٣٥م. وقد فشلت هذه الحملات الثلاث في الإستيلاء على مصر وضمها إلى سلطان الفاطميين[٦]،وذلك لأنهم أيقنوا أن بلاد المغرب لا تصلح لأن تكون مركزاً لدولتهم؛ وذلك لضعف مواردها وكثرة ما بها من ثورات واضطرابات؛ هذا بالإضافة إلى أن الدولة الفاطمية كانت تهدف إلى القضاء على المذهب المخالف لمذهبها[٧]؛ فقد كشفت هذه الحملة –رغم ما أصابها من فشل – عن ميل البعض من المصريين إلى الدعوة الفاطمية بفضل دعاة الإسماعيلية[٨]، إلى أن جاء القائد جوهر*(٣٥٨هـ/٩٦٩م) إلى الفسطاط فخرج الناس للقائه فدخل يوم ١٧ شعبان سنة ٣٥٨هـ[٩]؛ لذلك بدأوا يغزون البلاد فكرياً ويبثوا شائعاتهم إلى جانب القوى العسكرية، ونجحوا فى ذلك وسيطروا على البلاد.

وقد قسمت الدراسة إلى:

أولاً– تعريف مصطلحي الشائعات، والغزو الفكري.

ثانياً– وسائل نشر الشائعات في مصر الفاطمية: عمد الفاطميون إلى إثارة البلبلة واختلاق الأزمات ونشر الشائعات، ومن وسائل نشر الشائعات: الجامع الأزهر – دار الحكمة – الاحتفالات– المجالس(مجالس الوعظ ومجالس القصص) – الدعاة – خزائن القصر.

ثالثاً– نماذج من الشائعات: (شائعة نسبهم – ألوهية الحاكم – نبوءة المعز لدين الله)

رابعاً – مظاهر الغزو الفكري الفاطمي(المؤلفات – الشعراء – القضاة– الفلك والتنجيم)

خامساً – نتائج الغزو الفكري الفاطمي.

أولاً – تعريف مصطلحي الشائعات، والغزو الفكري:

المعنى اللغوى لكلمة شائعة وهى مفرد شائعات، شاعَ يَشيعُ، شَيْعًا وشُيوعًا ومَشاعًا وشَيْعوعَة،كَديْمومِة، وشَيَعاناً، محركةً: ذاعَ وفَشى فهى تعنى ذاع وفشى أى نشر الخبر ولم يكتم سره

[١٠]، وقيل أيضاً شاعَ الخبر في الناس يَشيعُ شَيْعاً وشيعاناً ومشاعاً وشيعوعة، فهو شائع: انتُشرَ وافترقَ وذاع وظهر، وأشاعه هو، وأشاع ذِكر الشيء: أطاره واظهره، وقولهم: هذا خبر شائع، وقد شاع في الناس، معناه قد اتصل بكل أحد فاستوى علم الناس به، ولم يكن علمه عند بعضهم دون بعض . والشائعة: الأخبار المنتشرة . وفي الحديث: أيا رجل أشاع على رجل عورة ليشينهَ بها، أي أظهر عليه ما يعيبه. ورجل مشياع أي مذياع لا يكتم سراً.[١١]

أما عن المعنى اللغوى لكلمة غزو فهى تعنى أراده وطلبه وقصده،والغزوه ما غزى وطلب، ومغزى الكلام مقصده[١٢]،أما عن كلمة فكر فهى تعنى إعمال النظر فى الشئ [١٣]، أما تعريف مصطلح الغزو الفكرى:هو أن تتبنى أمة من الأمم وبخاصة الأمة الإسلامية معتقداتٍ وأفكاراً لأمة أخرى من الأمم الكبيرة وهى غير اسلامية دائما دون نظر فاحص وتامل دقيق لما يترتب على ذلك من ضياع لحاضر الأمة، فضلا عما فيه من صرفها عن منهجها وكتابها وسنة رسولها، والغزو الفكرى هو أن تتخذ أمة من الأمم مناهج التربية والتعليم لدولة من الدول الكبيرة فتطبقها على ابنائها واجيالها فتشوه بذلك فكرهم وتمسخ عقولهم؛ [١٤]فالحركة الإسماعيلية هى نظام فكرى كان الغرض منه قلب النظام السياسى السائد المسيطر على العالم الاسلامى وتحقيق هدف رئيسى إنقلابى فى الأفكار والنظم والمعتقدات،وكان هذا النظام يوجب على المستجيب أن يعترف بمبدأي الظاهر والباطن معاً لأن المبدأين يشكلان روح الدين وهما متصلان ببعضهما البعض، ومرتبطان تمام الارتباط، وواجبان على كل مستجيب ومؤمن، فالظاهر هو المفهوم العام للتوصيات المتعلقة بقواعد عالم الدين، والباطن هو روح الدين المستور عن الأنظار، والمخصص للألباب، ولهذا فقد كان الدعاة الاسماعيليون يبشرون بمبادئهم بطريقتين ويدعون لنظامهم الفكرى بفكرتين:الأولى: ما كان متعلقاً بالنبوات وضرورة الأخذ بما جاءت به من تعاليم ونصوص وشرائع بطريقة ظاهرة، داعين الناس الى اتباعها بطريقة "الجبر والتقليد"، والثانية: بالدعوة الى ما جاءت به الكتب السماوية عن طريق التأويل الباطنى (بالاختيار والوعد والوعيد) [١٥].

ثانياً- وسائل نشر الشائعات في مصر الفاطمية:

{الجامع الازهر – دار الحكمة – الاحتفالات- المجالس(مجالس الوعظ ومجالس القصص) - الدعاة – خزائن القصر}

عمل الفاطميون منذ بداية دخولهم إلى مصر على جذب المصريين إلى مذهبهم؛وذلك عن طريق خلق الأزمات وإثارة الفتن والبلبلة ونشر الشائعات فى البلاد؛ مما جعل الناس يبحثون عن منقذٍ لهم وهم الفاطميون ومن هذه الأزمات التى خلقوها هى ارتفاع الأسعار واحتكار الغلال،

ويمكن أن نضيف إلى جانب عامل الاحتكار الذي يتسبب في ارتفاع الأسعار اختلال الأمن وانتشار السلب والنهب [١٦]، وكذلك قيامهم بنشر شائعات وعبارات سب الصحابة وسب القرآن " وجاء في كتاب الكندي: " وذلك أن الرعية كتبوا على أبواب المسجد الجامع ذكر الصحابة والقرآن (بما لا يليق)؛فرضيه جمع من الناس وكرهه آخرون[١٧]، وقويت شوكة الشيعة، وخفيت السنن، وظهرت البدع وانتشرت الشائعات[١٨]،وبدأوا يؤسسون القواعد التى سيروا عليها خطة غزوهم البلاد فكرياً، وكانت أول الأعمدة التى قامت عليها هذه الخطة المساجد متمثلة فى إنشاء مساجد جديده، وكان أهمها الجامع الأزهر.

١-الجامع الأزهر:

الهدف الأول للفاطميين كان غزو عقول المصريين عن طريق نشر أفكارهم ومذهبهم الشيعى وفعلوا ذلك بكافة الطرق لما وجدوا عدم قبول المصريين لمذهبهم ونظرتهم العدائية؛ لذلك عمدوا على فكرة غزوهم عقلياً وبث فكرهم عن طريق المساجد؛ فأول ما فعلوا فى مدينتهم التى أقاموها وجعلوها عاصمة لهم وهى القاهرة* وإقامة الجامع الأزهر؛ لإدراكهم بدور المساجد؛ فكانت تقوم مقام المدارس والجامعات في أيامنا الحديثة، وقد عرف الفاطميون هذه الحقيقة فلم يتوانوا في إتخاذ المساجد مجالاً لنشر دعوتهم الدينية وبث عقائدهم المذهبية، ولعل هذا هو السبب الذي من أجله أكثروا من بناء المساجد وجعلها تتناسب مع عظم ملكهم أولاً وما أرادوه من اتخاذها وسيلةً من وسائل نشر دعوتهم ثانياً؛ لذلك نرى القائد جوهر الصقلي عندما وضع أساس مدينة القاهرة لم ينس أن يبني مسجده العتيد –الجامع الأزهر– الذي أنشأه بأمر مولاه الإمام المعز لدين الله (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٢-٩٧٥م)* ، وشرع في بنائه في ٦ من جمادي الاولي سنة ٣٥٩هـ /٩٧٠م، وتم بناؤه٩ رمضان سنة ٣٦١هـ /٩٧٢م، ثم جدد فيه العزيز بالله*(٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م) والحاكم بأمر الله (٣٨٦ -٤١١هـ / ٩٩٦ - ١٠٢٠م) [١٩] الذي وقف عليه رباعا بمصر.وفي المسجد اتخذت الدعوة الفاطمية مكاناً لها، ففيه عقد أول اجتماع بمصر للاحتفال بعيد الغدير– وفي ذلك يروي المقريزي[٢٠] عن المسبحي أنه في يوم الغدير ١٨ من ذي الحجة سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م، اجتمع الناس بجامع القاهرة والقراء والفقهاء والمنشدون فكان جمعاً عظيماً أقاموا إلى الظهر ثم خرجوا إلى القصر فخرجت إليهم الجائزة، وكان هذا أول ما عمل بمصر، وبالجامع الأزهر كان داعي الدعاة يعقد مجلساً للنساء يلقي عليهن شيئاً من علوم أهل البيت؛[٢١] فكان يشبه المعاهد الخاصة لتعليم الفكر الشيعى [٢٢]، فيذكر القاضي النعمان *:إن الخليفة المعز أمره أن يقرأ على الناس في كل يوم جمعه في مجلس في قصره كتاباً " من علم الباطن"

فكثر إزدحام الناس وعج بهم المكان، وكانوا يجتمعون لقراءة كتاب دعائم الإسلام الذي بسطه المعز، وجعله في مجلس من مجالس قصره، وأباح لهم حتى احبوا استماعه وانتساخه وقراءاته والتعلم منه والتفقيه فيه[٢٣]، كذلك ليكون مكاناً للترويج للفكر الشيعي ونشر شائعاتهم وادعائتهم وإقامة دعوتهم بعيداً عن الاصطدام بالمسلمين السنة الذين كانوا يشكلون غالبية سكان مصر[٢٤]، وعرف بجامع القاهرة وبالجامع الأزهر تيمناً –حسب عادة الفاطميين– من إطلاق الأسماء التيمنية على منشآتهم ومساجدهم، الأزهر، والأقمر [٢٥]، أما تسميته بالجامع الأزهر فيظهر أنها أطلقت عليه في عصر العزيز بعد إنشاء القصور الفاطمية التي كان يطلق عليها اسم القصور الزاهرة، وقال آخرون إنما سمي بذلك لما سيكون له من الشأن العظيم والمكانة الكبرى بإزدهار العلوم فيه .

على أنه ليس ببعيد أن يكون الفاطميون الذين ينتسبون إلى فاطمة بن الرسول"ص" سموه الأزهر إشارة بذكر جدتهم فاطمة الزهراء [٢٦]، وبدأ الأزهر يؤدى دوره في أوائل عهد العزيز بالله جلس الوزير يعقوب بن كلس* بالجامع الأزهر، وقرأ على الناس رسالة ألفها في الفقه الشيعي على المذهب الإسماعيلي، تسمى الرسالة الوزيرية، تضمنت ما سمعه في ذلك من المعز لدين الله وولده العزيز، وكان يفد إلى سماعه الفقهاء والقضاة وأكابر رجال الدولة، وصار ابن كلس يعقد مجالسة العلمية تارة بالجامع الأزهر وطوراً بداره، يقرأ فيها مصنفاته على الناس. ومالبث أن فاقت شهرة الجامع الأزهر جميع المساجد الجامعة في مصر منذ أن أشار الوزير يعقوب بن كلس سنة ٣٧٨ هـ /٩٨٨م، على الخليفة العزيز بتحويله إلى معهد للدراسة بعد أن كان مقصوراً على إقامة الدعوة الفاطمية، فأستأذنه في أن يعين بالأزهر بعض الفقهاء للقراءة والدرس، وظل الأزهر مركز الفقه الفاطمي إلى أن بنى جامع الحاكم بأمر الله، فانتقل إليه الفقهاء لإلقاء دروسهم. [٢٧]،وكان خطيب المسجد أبا محمد عبد الله بن الحسين الشمشاطى، كذلك جعل الآذان فى جامع ابن طولون بحى على خير العمل، وهو أول ما أذن بمصر، ثم أذن بعده فى الجامع العتيق[٢٨]، وهنا يظهر هدف الفاطميين من جعل فكرهم الشيعى يغزو عقول المصريين حتى لو من خلال الآذان .

ب– دار الحكمة:

الوسيلة الثانية التى استخدمها الفاطميون لنشر معتقداتهم وشائعاتهم فى مصر كانت دار الحكمة التى كانت –كذلك– من المراكز الثقافية بمصر أسسها الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٥هـ /١٠٠٤م، وأطلق عليها هذه التسمية رمزاً إلى الدعوة الشيعية؛ لأن مجالس الدعوة كانت تسمى "مجالس الحكمة" وقد عرفت هذه المجالس التي كانت تعقد في قصور الفاطميين باسم مجالس الحكمة التأويليه[٢٩]،فكانت جامعة علمية فتحت ابوابها فى ١٠ جمادى ٣٩٥هـ/١٠٠٤م، وأوعز

بنقل بعض الكتب الثمينة من مكتبة القصر الى دار الحكمة وأمها الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين ثقافتهم، وخصص قسم منها لاجتماع الدعاة والفقهاء لتنظيم الدعوة، ولالقاء مجالس الحكمة التوحيدية التأويلية، فأزدحمت دار الحكمة بالمستجيبين[٣٠]، ومن أمثلة أساتذة دار الحكمة ابن يونس المنجم، وأبي على الحسن بن الهيثم، وعلي بن رضوان [٣١]،وكانت تلك القاعات التي خصصها الفاطميون لبث الدعوة تسمى بـ " المحول" حيث يعمدون فيها إلى تلقين مبادىء الدعوة الفاطمية وتحويل أهل السنة للأخذ بمبادىء الإسماعيلية من خلال نشر الشائعات وبث الأكاذيب. وكان الحاضرون لهذه المجالس يقسمون إلى أقسام حسب مرتبته [٣٢]، وكانت خزانة الكتب من أغنى مكتبات العالم حوت مئات الألوف من الكتب، منها الكثير بخطوط مؤلفيها مجلدة بأفخم الجلود، وجمعت مختلف العلوم في الفقة وسائر المذاهب، والنحو واللغة وكتب الحديث والتاريخ والفلك.[٣٣]

جـ- الاحتفالات:

كان الفاطميون أصحاب مذهب جديد ويريدون كسب المريدين إليه والمؤيدين له؛ لهذا اتجهت سياستهم إلى اجتذاب المصريين على اختلاف طبقاتهم وبكافة الوسائل والسبل عن طريق العطايا والأرزاق والهبات والأسمطة التي تقام في الأعياد، ومظاهر الأبهة التي تظهر في إقامة صلاة الجمعة وصلاة العيدين والاحتفالات التي تقام في المناسبات المختلفة[٣٤]؛ فابتكروا حفلات جمعت بين رجال الخلافة وطرب الشعب وبهجته، وكثير من الحفلات والتقاليد الباقية إلى الآن مدينة بظهورها إلى تلك الدولة، والتاريخ لن ينسى حفلاتها في مولد النبي "ص" ورأس السنة الهجرية، ووفاء النيل ورؤية رمضان وغير ذلك؛ فمن خلال هذه الحفلات كان يجتمع العامه وتنشر الفتن والشائعات التي تدعو للغزو الفكري الشيعي [٣٥]، وأشهر الاحتفالات التى أقامها الفاطميون الاحتفال بيوم الغدير فى ١٨ ذى الحجه، حيث يجتمع خلق من أهل مصر والمغاربة للدعاء؛ فأعجب المعز ذلك، وكان هذا أول ما عمل عيدُ الغدير بمصر. نبأ الاحتفال بعيد الغدير في عهد المعز عن ابن زولاق، هذا وخم موضع بين مكة والمدينة به غدير أو بطيحة، وحوله شجر كثير، ويقال ان رسول الله " صلى الله عليه وسلم " لما عاد من مكة بعد حجة الوداع سنة ١٠هـ نزل بغدير خم وآخى عليا بن أبي طالب ثم قال " علي مني كهارون من موسى، اللهم وال من والاه وعادِ من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله، ويعلق الشيعة على هذا الحديث أهمية كبرى إذ يعتبرونه بمثابة مبايعة علنية من الرسول صلى الله عليه وسلم قبيل وفاته لعلي بن أبي طالب [٣٦]،وقد أثار إحياء الشعائر الشيعية في مصر استياء المصريين السنيين؛ لما كان يقترن بها في كثير

من الأحيان من اعتداءات الشيعة والمغاربة عليهم، فقد حدث عند الاحتفال بعيد غدير خم (١٨ ذي الحجة سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م) أن قام المغاربة بإثارة الشغب والاضطرابات؛ فخرج جوهر ليحول دون تماديهم في الاعتداء على أموال الأهالي، كذلك أصاب المصريين السنة كثير من الضرر والأذى بسبب إرغام الشيعيين لهم على مشاركتهم في إظهار شعائرهم، ففي العاشر من المحرم سنة ٣٦٣هـ /٩٧٣م، سار جماعة من المصريين الشيعيين والمغاربة في موكبهم ينوحون ويبكون على الحسين؛ وصاروا يعتدون على كل من لم يشاركهم في مظاهر الأسى والحزن؛ مما أدى إلى تعطل حركة الأسواق وقيام القلاقل، مما جعل البعض من أهل السنه يحتفلون بمناسباتهم بعيد عن الفاطميين(٣٧).

د- المجالس(مجالس الوعظ ومجالس القصص):

كان الإسماعيلية يبالغون في التخفي في نشر الشائعات ومبادئ دعوتهم ومذهبهم، على شكل خطوات تتدرج من المعلومات البسيطة حتى تصل بالمستجيب إلي مباديء فلسفية عميقة، لا يفهمها إلا القليلون؛ حتى إن المستجيب كان لا يعرف شيئاً عن الدرجات التي تلي درجته، وإنما كان همه الوصول إلى درجة أعلى من الدرجة التي وصل إليها، وأصبح كثير من الإسماعيلية لا يعرف شيئاً عن زملائهم الذين انتظموا في سلك المذهب الإسماعيلى وخفى أمرهم على خصومهم العباسيين، كما برع الإسماعيلية منذ نشأتهم في تنظيم دعوتهم تنظيماً رائعاً حتي ينشروا شائعاتهم ويصدق العامة ادعائتهم؛ فتظاهروا بالتقشف والورع، وبالبلاغة والتضلع في العلم . وخصصوا لكل منهم مباديء يلقنها المستجبين، وكان لنظام التخصص هذا آثره في تكوين جماعة من العلماء الدعاة الذين يتقنون ناحية مذهبية خاصة، ويستطيعون أن يمثلو شائعاتهم في أذهان سامعهم من المستجبين، وكان دعاة عبيد الله المنتشرون في كافة أنحاء المملكة الإسلامية أشبه بجواسيس ينقلون إلي عبيد الله أسرار الدولة العباسية واخبار ولاتها، ويحذرونه الخطر الذي قد يحدق به أو بدعوته ودولته، وقد اعتمد عبيد الله على دعاته المقيمين وعلى دعاته السيارة اعتماداً تاماً(٣٨)، فإن الأئمة الفاطميين —الذين ورث دعوتهم- لم يستروا علومهم بل عملوا على نشرها وإذاعتها،وشجعوا العلم والعلماء،وكانوا يطلبون من العلماء تأليف الكتب، فبدأ التشيع يدخل مصر، بل أخذ يقوى ويشتد أزره، وأصبح الشيعة يؤثرون في الحياة العامة بمصر ويقومون بثورات ضد الولاة . أضف إلى ذلك أن مصر- في هذا العصر- شاهدت عدداً من العلماء الذين كانوا يفضلون عليا على الشيخين، ويخلصون في حبهم لأهل البيت ولعل الشافعي وهو يمثل أهل السنة أصدق مثل لذلك، ففي شعره ما يدل على عاطفة مخلصة قوية لأهل البيت، فهول يقول:

يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له. [٣٩]

هذا وقد عدت المجالس بأنواعها كمجالس الوعظ والقصص والشعر من وسائل التسلية والترفية ونشر الشائعات، ومنها:

١- مجالس الوعظ يمكن اعتبار مجالس الوعظ هي مجالس التسلية والترفيه من جهة، ومن جهة أخري ذات دور إرشادي وسياسي وفكري؛ فالواعظ يجتمع بالناس من أجل العظة والتذكرة وترهيب الناس من عذاب الله وحثهم على التمسك بأهداب الدين،[٤٠] فضلاً عن بث المعتقدات والأتجاهات والأفكار الفاطمية وما تتضمنه من شائعات وخرافات وإدعاءات في نفوس الحاضرين، وكان الوعاظ يعملون على تغذية خيال العامة المتعطش، كما اعتبروها وسيلة للتكسب .

أما مجالس الخلفاء الفاطميين فكانت هي الأخرى لا تخلو من الوعاظ الذين يدعون للخليفة ولأهل بيته ولحاشيته وتأويل عنهم الشائعات والأساطير والخرافات والأمجاد، فكان حضورهم – الدعاة دائماً -في مجال السحور التي يقيمها الخلفاء الفاطميون في رمضان، فبعد الانتهاء من سماط الإفطار يومياً يبدأ الاحتفال الديني بحضور الخليفة[٤١]؛ فيقوم القراء بقراءة آيات من الذكر الحكيم بصوت عذب ندي تطرب له القلوب والآذان، وكان اذانهم كما ذكر منفرد على طريقة النياحة ثلث الليل الأخير،وكان بين العشائين يكتظ الجامع بالفقهاء والأئمة واهل الأدب وكان ينعقد لهم مجلسين فى نفس الوقت، وكان ذلك فى جميع المساجد حتى ذكر أن عدد المجالس قد بلغ ما يقرب من مائة وعشرة مجلس[٤٢]، واذا جاء موعد الأذان يقوم المؤذنون بالتكبير وبيان فضائل السحور ثم ينتهون بالدعاء للخليفة، بعدها يقوم الوعاظ يذكرون الحضور بفضائل هذا الشهر الكريم ويسهبون في مدح الخليفة وكرمه وبطلاته وأمجاده في أثناء ذلك توزع على الحاضرين أطباق كثيرة، فيها أنواع متعددة من الحلوى والماء المعطر بالبخور فيأكلون منها ويحملون ما يستطيعون حملها والمتبقي يأخذه الفراشون،ويتضح مما تقدم الدور الإرشادي والسياسي والدينى والفكري في الترويج للدعوة الإسماعيلية مما يقوم به أولئك الوعاظ من تسليط الضوء على كرم الخلفاء الفاطميين ونشر شائعات بطولاتهم وأمجادهم الخارقة، والتريج لفكرهم الشيعي. كما كان للوعظ حضور متميز يوم عاشوراء ذكرى استشهاد الإمام الحسين، وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام) في واقعة فخ سنة ٦١هـ /٦٨٠م؛ فكانوا يسهبون في الحديث عن مصرع الإمام الحسين وأهل بيته فضلاً عن رثائهم بهذه المناسبة الأليمة.

٢- مجالس القصص: حكايات القصاصين قد استهوت خاصة الناس وعامتهم؛ فقد كانت تستهويهم أكثر ما يستهويهم كلام العلماء الغامض، فقد ذكر: وتفقد العامة في احتشادها ومجموعها فلا تراهم الدهر إلا مرقلين إلى قائد دُب وضارب بدف وعلى سياسة قرد أو متشوقين إلى اللهو واللعب أو مختلفين إلى متعبد متنمس ممخرق أو مستمعين إلى قاص كذاب أو مجتمعين حول مضروب أو وقوفاً عند مصلوب بهم... فالقصة يفضلها الخاصة والعامة لما فيها من حكمة وفائدة. فصاحب التوقيع بالقلم الدقيق في المظالم وهي وظيفة عليا في ديوان الإنشاء،وفي العصر الفاطمي كانت له مهام كتابية، فضلاً عن ذلك كان هذا الكاتب قارىء الخليفة وجليسه؛ فكان يجالس الخليفة في اكثر أيام الأسبوع وفي خلوته يقرأ عليه أخبار الانبياء (عليهم السلام) والخلفاء السابقين، كما يقرأ عليه مليح السير ويكرر عليه ذكر مكارم الأخلاق(٤٣). أما قصاصوا العامة فقد كان لهم دور مهم وحيوي في حياة العامة؛ فقد كانوا يجمعون الناس حولهم في الطراقات والفرقات ويسردون لهم الحكايات عن الأقدمين بذكر أيام العرب وأخبار الأمم الأخري وسرد القصص الدينية والأساطير والنوادر(٤٤) كنوادر جحا وقصص هزلية مثل قصص عاشق البقر والقصص الغرامية ودهاء النساء كما شغلت قصص الحب بين الانس والجان مكاناً مهماً في تلك الحكايات لقاء مبلغ من المال يجود به المستمع على المتكلم،عرف العصر الفاطمي انواع عيدية من القصص منها الديني؛ فقد سردت تلك القصص كثيراً من كرامات شيوخ الصوفية التي يقوم أتباعه بترديدها والترويج لها فيأخذها القصاصون لتكون مادتهم في تسلية وترفيه الناس. (٤٥)

هـ- الدعاة:

كانت مهمة الدعاة هى تأكيد نسب الفاطميين العلوى ونشره،وقد راج لهم ما افتروه في تلك البلاد، ووازره جماعة من الجهلة، وصارت لهم دولة (٤٦)، وكان هناك من الصفات التى يجب توافرها فى الداعي وقد ذكرت عن المهدى فى وصفه: ثم ولد لميمون ولداً يقال له عبد الله، وكان أخبث من أبيه وأمكر واعلم بالحيل . فعمل أبواباً عظيمة من المكر والخديعة على بطلان الإسلام، وكان عارفاً بجميع الشرائع والملل والسنن، وجميع علوم المذاهب كلها ما جعله للإنسان من المكر والخديعة تسع دعوات بدرجة من واحدة إلى واحدة، فإذا انتهى إلى الدعوة الأخيرة جعله معرى من جميع الأديان، لا يعتقد غير تعطيل الباري جل ذكره، وإباحه أمة محمد صلى الله عليه وسلم وغيرهم من الأمم، ولا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً .وماهويت نفسه لا يرجع عنه (٤٧).

وقد وضع الفاطميين في دعوتهم نظاماً محكماً لا أكاد أجد له مثيلاً في تاريخ الدول والدعوات حتى في عصرنا هذا الذي عرف فيه للدعاية قدرها ومكانتها، ولعل الفاطميين هم أول من أقاموا للدعاية مناصب رسمية في دولتهم، واعتمدوا على نشر الشائعات والفتن والخرافات، وأعتمدوا على التنجيم والفلك أي من نظام دورة الفلك وتقسيم السنة إلى شهور وأيام وساعات، فالسنة إثنا عشر شهراً والشهر ثلاثون يوماً واليوم أربع وعشرون ساعة منها اثنتا عشرة بالنهار واثنتاعشرة بالليل، فكذلك قسمت مراتب الدعوة: فالسنة التي تجمع الشهور والأيام مثل علي النبي في عصره أو الإمام الذي يجمع جميع مراتب الدعوة، والاثنا عشر شهراً مثل على رؤساء الدعوة، ولكل داع من الدعاة أربعة وعشرون أذوناً أو مكاسراً، ولكل مرتبة من هذه المراتب عمل خاص به، فالإمام يختار من شيعته أقواهم لساناً وأصدقهم جناناً وألحنهم بالحجة وأغرزهم علماً؛ فيجعله في مرتبة داعي الدعاة أو باب الأبواب، وهذه المرتبة أعلى مراتب الدعوة؛ لأنها قلى مرتبة الإمام مباشرة من الناحية المذهبية فهو المالك لجماعة الحجج والدعاة، وإليه الإشراف على الدعوة في جميع الأقطار، لكل إقليم أو جزيرة التي قسموا إليها العالم حجة، هو كبير دعاة الإقليم والمشرف على الدعوة فيه، وهو الذي ينوب عن باب الأبواب في عقد مجالس الحكمة وتلاوة المجالس، وهذه الحجة على صلة وثيقة بباب الأبواب الذي اختاره الإمام ؛ فمكانة حجة الجزيرة في جزيرته لا تقل عن مكانه الوالي أو القاضي، ولكل حجة جزيرة ثلاثون داعياً نقيباً يقومون بهداية الناس —على حد زعمهم– ونشر الشائعات وبث دعوتهم في نفوس المستجبين، وهم الذين يفاتحون الذين دخلوا في الدعوة بالعلم بعد أن يأخذوا عليهم العهد والميثاق، وهم الذين يجمعون النجوى منهم ويكون امرهم لحجة الجزيرة، ولكل نقيب من هؤلاء النقباء أربعة وعشرون داعياً مأذوناً مكاسرا، وهو الداعي الذي يشكك المسلمين في عقائدهم المذهبية ويوقع الوهم والشك في نفوس المتدينين أنهم على ضلال، ولا يزال بهم حتى يطلبوا إليه أن يدلهم على الصواب المبين، ولكنه يحاورهم ويداورهم حتى إذا وثق من اقتناعهم بأنهم على ضلال أحالهم على الداعي أو النقيب الذي يبدأ في مفاتحتهم بأسرار الدي شيئاً فشيئاً بعد أن يأخذ عليهم العهود والمواثيق، وهكذا يصبح المستجيب في زمرة الدعوة، ومن ذلك يتبين أن الداعي المأذون هو الذي يكاسر الناس بأن يمطرهم بأسئلة لا يستطيعون عليها، ولذلك يشترط في من يتولى هذه المرتبة أن يكون على علم وافر بمذاهب الفرق الإسلامية جميعها، وموضع الضعف في كل مذهب من المذاهب، وأن يكون متمكناً من أصول مذهبه، وأن يكون لساناً مجادلاً. وقد حدد الفاطميون الصفات التي يجب أن تتوافر الداعي الذي يقوم بنشر الشائعات ويختلق القصص والخرافات نلخصها في سعة

العلم والثقافة والقدرة على المجادلة وحسن السياسة مع من يتصل بهم ولاسيماً أتباعه، وهذه المرتبة هي أقل مراتب الدعوة فما بالك بالشروط التي يجب أن تتوافر في مراتب الحدود التي هي أعلى شأناً من مرتبة المكاسر.

ويحدثنا الداعي أحمد حميد الدين الكرماني[٤٨] في كتابه راحة العقل عن الحدود الجسمانية الذين إليهم أمر الدعوة ورتبهم بالترتيب الآتي: –

الناطق وله رتبة التنزيل، والأساس وله رتبة التأويل، والإمام وله رتبة الأمر، والباب وله رتبة فصل الخطاب، والحجة وله رتبة الحكم فيما كان حقاً أو باطلاً، وداعي البلاغ وله رتبة الاحتجاج وتعريف المعاد،الداعي المطلق وله رتبة تعريف الحدود العلوية والعبادة الباطنية،والداعي المحدود وله رتبة تعريف الحدود السفلية والعبادة الظاهرة، والمأذون المطلق وله رتبة أخذ العهد والميثاق،والمأذون المحدود الذي هو المكاسر وله رتبة جذب الأنفس المستجيبة.

ومن أهم أعمال داعي الدعاة، عقد مجالس الحكمة التأويلية لقراءة علوم أهل البيت على جمهور المؤمنين، فأتخذت مراكز لإلقاء هذه المجالس التأويلية[٤٩]، ولا شك ان الدعوة للبيت العلوي قد صادفت نجاحاً عظيماً في مصر؛ فقد أصبح فيها عدد غير قليل يعتنق المذهب الشيعي ويعمل على نشره؛ ويرجع ذلك إلى ما كان من إدماج الفاطميين في صفوف جندهم الذين أوفدوهم لفتح مصر، دعاة يعهدون إليهم الإختلاط بالناس ونشر الفتن والشائعات لنشر دعوتهم الفاطمية، أضف إلى ذلك ما قام به الخلفاء الفاطميون من تشجيع هذه الدعوة بإرسال الكتب وما فيها من بدع بخطهم مذيلة بإمضاءاتهم لهذه البلاد يدعون الناس فيها لاعتناق العقائد الفاطمية [٥٠]،وكان بمصر للمعز دعاة استدعوا خلقاً في البلد؛ وكانوا يقولون: " إذا زال الحجر الأسود ملك مولانا المعز لدين الله الأرض كلها، وبيننا وبينكم الحجر الأسود –يعنون كافور الإخشيدي "، فلما مات كافور أنفذ المعز إلى دعاته بنوداً، وقال: " فرقوها على من يبايع من الجند "، وأمرهم إذا قربت العساكر ينشرونها، فلما قربت العساكر من الإسكندرية جمع الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد ابن موسى بن الحسن بن الفرات الناس وشاورهم؛ فاتفقوا على مراسلة جوهر [٥١].

وكان جميع الدعاة ينهجون نهج القاضى النعمان في فقهه، أو الخُتلِف معه في رأي مسائل الفقهية، وقد يكون ذلك لأن النعمان قال في كتابه المجالس والمسيرات: إن الإمام المعز لدين الله طلب إليه أن يلقي على الناس شيئاً من علم أهل البيت، فألف النعمان كتبه، وكان يعرضها على المعز فصلاً فصلاً، وباباً باباً حتى أتمها، وفي كتابه هذا كثير من النصوص التي تدل على أنه كان

يعرض كتبه على المعز قبل إذاعتها ونشرها بين الناس، كما أنه كان يقرأ مجالس الحكمة التاويلية ومن هنا لقبه ابن زولاق بالداعي، وأنه كان دعامة من دعائم الدعوة، ولكنه لم يصرح بأن النعمان ولي مرتبة داعي الدعاة، ويخيل إلى أن النعمان كان داهية في سياسة التقرب إلى الأئمة، وأنه استطاع بعلمه وثقافته أن يجذب إليه قلوبهم؛ فقربوه إليهم وعرف اسرارهم ونياتهم، فوضع هذه الكتب الكثيرة وادعى أن الأئمة هم الذين لقنوه إياها، بل لعلي لا أغالي إذا قلت: إن النعمان هو أول من دون فقه المذهب الفاطمي،إن النعمان ألف لأهل البيت من الكتب آلاف أوراق بأحسن تاليف واملح سجع، وعمل في المناقب والمثالب كتاباً حسناً، وله ردود على المخالفين، له رد على أبي حنيفة وعلي مالك والشافعي وعلى ابن صريح، وكتاب اختلاف الفقهاء ينتصر فيه لأهل البيت.[٥٢]

➢ نماذج الدعاة:

من أبرز الدعاة القاضي نعمان: ونحن نستبعد أن يكون النعمان قد تمذهب منذ أول عمره بغير مذهب الإسماعيلية: ذلك أن دخوله في خدمة الدولة الفاطمية كان مبكراً، منذ سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م واستمر وفاؤه لخلفائها إلى يوم وفاته ٣٦٣هـ/ ٩٧٤ م، بعد أن تقلب في وظائف سامية بالقصر بجانب الخلفاء الأربعة. ولعل أباه كان داعياً من دعاة الفاطميين. ولا نعرف شيئاً عن خدمته للدولة الفاطمية أكثر من أنه كان يقوم بنقل أخبار عاصمة الخلافة إلى المهدي ثم القائم،ولعل هذه الوظيفة هي ما عُرف في المشرق بديوان الخبر أو ديوان الرسائل،وفي أيام المعز كانت شخصية النعمان تأخذ أبعاداً غير الأبعاد الرسمية، فلم يعد مجرد قاضي القضاة الموظف، بل أصبح يسهم في تركيز الدعوة في وفي بسط عقيدتها وتدوين فقهها، وتسجيل أمجادها وأحداثها بما جعل منه دعامة متينة للفقه الشيعي والفكر الإسماعيلي . فقد أعد المعز مجلساً في قصره يلتئم إثر صلاة الجمعة يقرأ فيه النعمان "كتاباً من علم الباطن". فكثر إزدحام الناس وغص بهم المكان، وخرج احتفالهم عن حد السماع، وملاوا المجلس الذي أمر باجتماعهم فيه وطائفة من رحبة القصر، وأصبح بعد الدِّربة الطويلة في خدمة الخلفاء والوفاء لهم لسان المذهب وفقيهه[٥٣]، ولا يفتأ النعمان يسند أعماله إلى الخليفة، فهو مسجل وناطق بلسانه وصادر عن معانيه، وكان إذن يعرض عليه ما يصنعه من كتب في الفقه والفتيا لييسر العمل بها بين الناس، وكان المعز يراجعه في مشاكلها وينبهه إلى المحرف عن الأئمة الذي يجب ألا يروى ولا يتداوله العامة.وبفضل الدعاة ازدهرت الدعوة الفاطمية في المشرق ازدهاراً كلياً؛ فهم عمدوا على نشر الشائعات مستغلين تثقيفهم وتفوقهم في كل علم وفن، لدرجة أن الناس كانوا يتسابقون إلى الانتساب للدعوة

الفاطمية والانضواء تحت لواء هؤلاء الدعاة؛ فهذه العقيدة التي تقوم على أسس تنزيلية وتأويلية اجتذبت العديد من المستجيبين والعلماء في العالم الإسلامي؛ فعملوا على اعتناق مبادئها. والاضطلاع بها مسؤولية كبرى تتطلب التضحية فمن الواضح أنها تقوم على اسس قديمة من المعرفة، وعلى دعائم ثابتة من البيان المحجوب عن العامة(٥٤).

وكان المعز لدين الله الفاطمي يختار دعاته من العلماء الأذكياء القادرين على نشر الشائعات واستهواء العامة وإقناعهم والقيام بدورهم أحسن قيام،(٥٥) كذلك استغل الإسماعيلية – وعلى رأسهم عبيد الله – مذهب التقية؛ فكانوا سنيين مع اهل السنة، شيعيين مع أهل الشيعة، ومسيحيين مع المسيحيين، ومجوسيين مع المجوس، وبذلك انضم إلى عبيد الله ألوف مؤلفة من المسلمين، ولم يشعر العباسيون إلا وقد حقق الاسماعيلية أغراضهم بإقامة دولة إسماعيلية خالصة، وكان لنظام أخذ العهود على المدعوين أثر كبير في جذبهم إلى المذهب الإسماعيلي ورؤسائه، كما ان القيود التي كانت تربطهم بهذا المذهب برباط وثيق لا بنفصم، وتجعل المستجبين يتركون معتقداتهم السابقة ويلتفون حول رئيس دعوتهم الجديدة، لا تقل أثراً في هذا السبيل، ناهيك عن المباديء الخلابة التي كان الإسماعيلية ينادون بها، وما كان لها من أثر في النهوض بالمذهب الإسماعيلي، والالتفاف حول عبيد الله المهدي؛ فقد استغلوا مبدأ التأويل، لينفروا الناس من أديانهم ومذاهبهم، ويربطوهم بمباديء المذهب الإسماعيلي برباط متين، وينشروا كثيراً من الغموض ليملئوا نفوس الأتباع بالأمل، وقد استغلوا ذلك المبدأ الجذاب ليثبتوا للملأ والأتباع أن مذهبهم إنما وجد لمحاولة فهم حقيقة الدين الإسلامي وباطنه أو بعبارة أخرى أن المذهب الإسماعيلي دين الباطن، والإسلام دين الظاهر، لأن علياً صاحب التأويل، ومحمداً "صلى الله عليه وسلم" صاحب التنزيل.(٥٦)

كذلك ممن الدعاة يعقوب بن كلس وقد قدمنا تعريف له من قبل،اليهودى الذى ادعى الإسلام وتغلغل فى المناصب فى الدولة الفاطمية (٥٧) هذاإلى جانب ما كان يتصف به من مقدرته على التفخيم والتعظيم وذكر التهاويل الرائعة ، إلى جانب كونه على دين الملك ومذهبه (٥٨) وكانت وفاته في سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م،وفي هذا الزمان كانت البدع والأهواء فاشية بمصر من الرفض والاعتزال والضلال. ومصر"فإنه معلوم من كون خلفاء بني عبيد كانوا يظهرون الرفض وسب الصحابة، وكذلك جميع أعوانهم وعمالهم (٥٩)

وعلى هذا ادرك الفاطميون أن نشر مذهبهم بين المصريين لن يكون عملاً يسيراً ومن هنا بدءوا يرسمون الخطط ويحشدون القوى والتأثير في هذا العناء أو قل العداء الذي أظهره المصريون

ضد التشيع منذ اللحظات الأولى . وكانت خطة الفاطميين تشمل مرحلتين: المرحلة الأولى مرحلة التعليم والتشريع، والمرحلة الثانية مرحلة الدعوة السرية . ولم يكن فتح مصر عملاً سياسياً للفاطمين فحسب، بل كان انتصاراً للدعوة الشيعية التي ما لبث بنو العباس يطاردونها زهاء قرنين، والتي رفع لواءها عبيد الله المهدي جد المعز . وبدأت ظفرها السياسي بافتتاح المغرب؛ فكانت مسألة الإمامة ما تزال سند الفاطميين وكان عليهم أن يؤيدوا هذه الدعوة وان يثبتوا قدسيتها؛ كما كان ملكهم الجديد في مصر يصطبغ بنفس الصبغة الدينية العميقة، وقد كانت الدعوة السرية انفذ وسائل الفاطميين إلى تبوئ الملك. فلما جنوا ثمار ظفرهم الأولى كانت الدعوة السرية وسيلتهم إلى حمايتها وتدعيمها، فكان لهم دعاة في سائر الأقطار الإسلامية، فكانت مصر منزل ملكهم وخلافتهم —منبر هذه الدعوة ومركزها ومجمعها– تنساب معه إلى جنبات الأمبراطوريات الشاسعة وإلى سائر الأقطار الإسلامية الأخرى. [٦٠]

كذلك من الدعاء الفاطميين الذين عملو على نشر الشائعات والترويج للفكر الفاطمي: هو إبراهيم بن محمد الشيباني البغدادي[٦١]، كنيته " أبو اليسر، ولقبه "الرياضي"، وهو من أول العيون المشارقة، وقد غادر مسقط رأسه بالمشرق واتجه نحو الأندلس غير أن الأمير الأموي محمد الأول بن عبد الرحمن الثاني (٢٣٨: ٢٧٣هـ / ٨٥٢:٦ ٨٨م) كشف أمره مما اضطره إلى مغادرة الأندلس، واتجه إلى مصر وآخذ يدعو للمذهب الإسماعيلي بين أهالي مصر، فأمر أحمد بن طولون (٢٥٤:٢٧٠هـ / ٨٦٨:٨٨٣م) بحبسه، غير أنه نجح في الهروب من السجن بمصر وفر إلى القيروان حيث استقر به المقام، لم يكتف الفاطميون بإرسال عيونهم إلى الأندلس، وإنما أرسلوها كذلك إلى مصر؛ لنشر المذهب الشيعي الإسماعيلي ومعرفه أحوالها تمهيداً لغزوها، وذلك خلال محاولته الاولي لفتح مصر لهذا ما ان علم بذلك والي مصر حتى كثف جهوده للكشف عن عيون الفاطميين في مصر ومن يتصل بهم من سكان مصر، وقد نجح في إلقاء القبض على الكثير من عيون الفاطميين، وقام بقطع أيدي وأرجل مجموعة أخرى باعتبارهم مفسدين في الأرض[٦٢].

كذلك من دعاة الفاطميين فى عهد الخليفة الحاكم "الكرمانى ٤٠٨هـ/١٠١٧م "وهو يعتبر شيخ فلاسفة المذهب ووصف أنه حجة العراقيين،وكان قد عين رئيساً لدار الحكمة كذلك وله فى الدعوة رسائل بلغ عددها ما يقرب من تسعٍ وعشرين،وهو من صدق إمامة الحاكم،وأن ما حدث هو بإرادة الله لامتحان عبده[٦٣] .

وعندما تولى الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله* (٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢٠-١٠٣٥م) اهتم بأمر الدعوة الفاطمية ليتابع سياسة والده، وأمر الدعاة أن يحفظوا الناس كتاب دعائم الإسلام

للداعي الشيعي محمد بن النعمان قاضي قضاة الدولة الفاطمية أيام المعز لدين الله، وكتاب الفقة الذي ألفه الوزير يعقوب بن كلس على مذهب آل البيت، ورصد مكافآت مالية لمن يقوم بحفظ هذه الكتب. [٦٤]،كذلك كان على الدعاة جمع الضرائب التى فرضت على الداخلين فى مذهبهم وهى ما تعرف بالفطرة والنجوى،وكانت تجمع اثناء القاء داعى الدعاة الدروس للرجال فى الجامع الأزهر والنساء أثناء الدرس لهن بالقصر[٦٥].

ى- خزائن القصر:

كان للفاطميين في القاهرة مكتبات، منها أربعون خزانة في قصر الخلافة وحده ملأى بنفائس المؤلفات الجليلة المقدار ونوادرها المعدومة المثال، وكانت تجمع مائتي ألف مجلد -كما قال المقريزي - في مختلف العلوم والفنون، منها ستة آلاف وخمسمائة مجلد في الفلك والطب، وكان يختلف إليها العلماء والطلاب لاستعارتها ومطالعتها والاستفادة منها، أما خزائن القصر الداخلية فكان الإطلاع عليها محظوراً على العامة، وقد أصاب هذه الخزائن من المحن بتوالي الفتن مثل ما اصاب مكتبة الإسكندرية في عهد الرومان، فألقي بعضها في النار والبعض في النيل وترك بعضها في الصحراء؛ فسفت عليها الرياح حتى صار تلالاً عرفت بتلال الكتب، كما جعلوا في القصر مكتبة عُدت من مفاخر الفاطميين؛ لأنها كانت من عجائب الدنيا ولم يكن في جميع بلاد المسلمين دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر، ويقال إنها كانت تضم ألف ألف وستمائة ألف كتاب، تشتمل على كُتب في كل فن من الفنون، فمن فقه على سائر المذاهب إلى نحو ولغة وكُتب تاريخ وحديث ورياضة وفلسفة وكيمياء وغير ذلك من العلوم المختلفة. فعناية الخلفاء الفاطميين باقتناء ذخائر الكتب على هذا النحو، وحرصهم على ان تجمع خزائنهم الطرائف والنفائس في كل علم، وتشجيعهم العلماء والمتعلمين، جعل في مصر نهضة علمية وفنية لم تشاهدها مصر إلا في عصرهم، وعلى تراث حياتهم الفكرية قامت الدراسات في مصر طوال العهد الوسيط، بل لا يزال العالم الإسلامي يعتمد كثيراً على ما تركه علماء مصر في هذا العصر الذي ندرسه. [٦٦]

ثالثاً- نماذج من الشائعات (شائعة نسبهم - ألوهية الحاكم — نبوءة المعز لدين الله):

أ- شائعة نسبهم:

من أول الشائعات التى اطلقها الفاطميون وجعلوا بعض خواصهم يروجون لها كانت شائعة نسبهم واختلف المؤرخون* حول نسب الفاطميين، ولكن ما يهمنا هو ما زعمه الفاطميون انفسهم لإشاعة نسبهم،قيل ان أبا عبد الله الشيعى عندما دخل إفريقية لم يزل يعمل الحيلة حتى

انتزع الملك من آخر ملوك بنى الأغلب[٦٧] وقيل ايضاً: إن المهدي هو: عُبيْدُ الله ابن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقيل أيضاً إن المهديّ هو عُبيْدُ الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليه السلام، وقيل: هو عُبيْدُ الله بن عليّ بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن الحسن ابن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقيل هو: عُبيْدُ الله ابن التقيّ ابن الوفّ ابن الرضيّ.

وقد وجدنا هؤلاء الذين تغلبو على المغرب ثم مصر، أعني سعيد بن الحسين وأولاده، وهو الذي تسمى بالمغرب عُبيْدُ الله وتلقب بالمهديّ، لا يعرف لهم ذكراً لا في الأصول ولا في الفروع، غير ما يوهمون به العامة والرعاع من الناس أنهم من ولد علي بن أبي طالب عليه السلام، ولا يذكرون لهم نسباً إليه.

وقد خفى أمرهم على أكثر الناس، ويجب على من كانت فيه عصبية لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتحقق أمر نسبهم لتكون عصبيته فيهم لا في غيرهم، فأما من موه عليه بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعدل به عن الحق إلى الباطل ويخدع بالإيمان والعهود والمواثيق، ويدخل في أمر مكتوم قد غطى عليه، وهو لا يعلم، فإنه ترك الهدى واتبع الضلالة. وإنا لا نجد عهوداً ولا مواثيق تكون في شريعة من الشرايع بكتمان سرٍ، لأن الله عز وجل لم يأمر بكتمان هدى أنزله على عباده، وقد جل اسمه: (هذه سبيلي ادعو إلى الله علي بصيرة أنا ومن اتبعني ♣ وسبحان الله ♣ وما أنا من المشركين). فما كان من بصيرة فإنما يريد ان يهدي بها عباده بغير سر ولا كتمان . واهل العقول والبصائر يعلمون ان الكتمان في أمور الدين والتنقل من حال إلى حال هو حد الإربة، وهذا مما أسسه عبد الله بن ميمون القداح لنفسه ولولده الذي صار إلى المغرب، وانتهى إلى ولد علي بن أبي طالب عليه السلام، الدليل على كذب نسبهم:

فلما تمادى في السير مع المعز قال الشريف ابن طباطبّا للمعز: إلى من ينتسب مولانا أعزه الله ؟ فقال له المعز: سنعقد مجلساً ونجمعكم فيه ونسرد عليكم نسبنا إن شاء الله تعالى.،كذلك نشر الشائعات عن طريق المال؛ فلما كان بعد ذلك واستقر بقصره جمع الناس في مجلس عام وجلس لهم، وقال: هل بقى من رؤسائكم أحد ؟ فقالوا: لم يبق معتبر. فسل عند ذلك نصف سيفه وقال: هذا نسبي، ونثر عليهم ذهباً كثيراً وقال: وهذا حسبي، فقالوا جميعاً: سمعنا وأطعنا .[٦٨]

على الرغم من ذلك هناك من أيد شائعة نسبهم الى على بن ابى طالب وأيد قوله بقول الرسول"صلى الله عليه وسلم" أنه قال: المهدي من نسلي من ولد فاطمة سيدة نساء هذه الأمة طالت الأيام أم قصرت، يخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً . قيل: ومتى يخرج وأين يخرج يا رسول الله ؟ قال: إذا كانت زلازل في أطراف الأرض وارتشت القضاة وفجرت الأمة، خرج من المغرب ، في ساقة شامة، وبين كتفه شامة، فرداً غريباً . قيل: وكيف يكون فرداً غريباً يارسول الله ؟ قال: لأنه ينفرد عن أهله ويتغرب عن وطنه [٦٩]،وعن طريق الشائعات والحيل والخديعة، وشاع بين الناس أنه علوى فاطمي من ولد إسماعيل بن جعفر، فاستعبدهم بهذا القول، وخفي أمر مذهبه عليهم إلا من كشف له من خاصته ودعاته في تعطيل الباريء، والطعن على جميع الأنبياء، وإباحة أنفس أممهم واموالهم وحريمهم، ومع ما كانوا يظهرون لم يكن لهم جسارة أن يذكروا لهم نسباً على منبر، ولا في مجمع بين الناس، سوى ما يشيعون أنهم من آل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بغير نسب ينتسبونه، تمويهاً على العامة، فذكر أن القاضى ابن النعمان ساس الأمر؛ لأنه كان يلي أمر الدعوة والمكاتبة في أمرها، فنسب نزاراً إلى آبائه، وكتب نسبه، وأمر به أن يقرا على المنابر فقريء على منبر جامع دمشق صدر الكتاب.[٧٠]

وما حدث مع العزيز بن المعز من انكار نسبه خير دليل على كذب شائعة نسب العبيديين، ويحكي أن الأموي صاحب الأندلس كتب إليه نزار هذا (يعني العزيز صاحب مصر) كتاباً يسبه فيه ويهجوه؛ فكتب إليه الأموي: " أما بعد، قد عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لأجبناك والسلام " . قال فآشتد ذلك على نزار المذكور وأفحمه عن الجواب . يعنى انه غير شريف وأنه لا يعرف له قبيلة حتى كان يهجوه .أنتهى كلام أبي منصور[٧١]

وهكذا أتى الفاطميون مصر ففتحوها بسيوفهم كما غزوها بعقائدهم وميولهم، واتخذوا لذلك طرقاً تدل علي فرط ذكائهم؛ فاستعانوا على الترويج لدعوتهم بالسيف وبالقلم ونشر الشائعات وبالسياسة والعلم والدين والأدب جميعاً، ولهذا فقد عانى الخلفاء الفاطميون كثيراً وبذلوا جهداً عظيماً لإزالة ما علق بأذهان الناس في مصر من الشك في نسبهم، ومازالوا كذلك حتى استقرت أمورهم نهائياً في تلك البلاد، وامنوا على انفسهم مكر الخلافة العباسية في بغداد. [٧٢]

ب–نبوءة المعز لدين الله:

قد وصف القاضى النعمان المعز لدين الله بالمعلم الذى أيده الله بعلمه وأعطاه من المعجزات ما اتصف بها عن غيره[٧٣]، والمعز كان شاعراً بالتنافر الحاصل بين الدولة الفاطمية ورعاياها ممن يسميهم " العامة" أي أهل السنة، فعمل على أن يظهر للناس بمظهر المنقذ الهادي

الذى جاء ليخلص الدين من أعدائه سواء كانوا من النصارى البيزنطيين، أو ممن يدعون الإسلام مثل بني أمية بالأندلس وبني العباس ببغداد أو البرابرة بالمغرب الأوسط والمغرب الأقصى، وقد استفحلت فيهم الدعوة الخارجية؛ فصاروا يثورون بين الفنية والأخرى فيرسل عليهم خلصاءه من كتامة وعبيده الصقالبة(٧٤)،وكان مغري بالنجوم، ويعمل بأقوال المنجمين، قال له منجم إن عليه قطعاً في وقت كذا، وأشار عليه بعمل سرداب يختفي فيه إلى أن يجوز ذلك الوقت، ففعل ما امره، وأحضر قواده وقال لهم: " إن بيني وبين الله عهداً أنا ماضٍ إليه، وقد استخلفت عليكم ابني نزار، فاسمعوا له واطيعوا"، نزل المعز لدين الله إلى السرداب؛ فكان أحد المغاربة إذا رأي سحاباً، نزل وأومأ إليه بالسلام ظناً منه أن المعز فيه، فغاب سنة ثم ظهر، وبقى مدة ومرض وتوفى، فستر ابنه نزار العزيز موته إلى عيد النحر من السنة، فصلى بالناس وخطبهم، ودعا لنفسه، وعُزِى بأبيه. وذكر القاضي عبد الجبار البصري في كتاب " تثبيت نبوة نبيناً صلى الله عليه وسلم " المعز لدين الله، وقال: " واحتجب عن الناس مدة، ثم ظهر وجلس في حرير فائق أخضر مُذَهب، وعلى وجهه الجواهر واليواقيت، وأوهم أنه كان غائباً، وأن الله رفعه إليه، وكان يتحدث بما يأتيه أهل الأخبار في حال غيبته، وتوهم أن الله أطلعه على تلك الغيوب".(٧٥)، ولما دخل المعز إلى القاهرة احتجب في القصر؛ فبعث عيونه ينقلون إليه أخبار الناس وهو متوفر في النعم والأغذية المسمنة والاطلية التي تنقي البشرة وتحسن اللون، ثم ظهر للناس بعد مدة وقد لبس الحرير الأخضر وجعل على وجهه اليواقيت والجواهر تلمع كالكواكب، وزعم أنه كان غائباً في السماء، وان الله رفعه إليه؛ فأمتلأت قلوب العامة والجهال منه رعباً وخوفاً.(٧٦)،حاول بعض الخلفاء الفاطميين إضفاء لمحة من القداسة على شخصيتهم من خلال نشر شائعات وإدعاءات معرفة الغيب، مثل الخليفة المعز لدين الله ولكن في الواقع اعتمد الخليفة المعز لدين الله على أصحاب الخير لإخباره بما حدث أثناء فترة غيابه (٧٧).

جـ-ألوهية الحاكم: (٣٨٦:٤١١هـ / ٩٩٦: ١٠٢٠م)

لم يكن الحاكم بأمر الله حين أله نفسه ثائرا على المذهب الإسماعيلي، وإنما كان ثائراً على هذه السياسة التي وضعها عبيد الله، من تظاهره لرعاياه السنيين بعكس ما يعتقده الإسماعيلي المخلص لمذهبه . ونعتقد أن هذه السياسة المزدوجه كانت السبب في بقاء الدولة الفاطمية نحو ثلاثة قرون (٢٩٦-٥٦٧هـ/٩٠٨-١١٧١م) . ولو أن القائمين بهذه الدولة عملوا على ترويج مباديء المذهب الإسماعيلي السرية بين العامة، لما قدر لها البقاء طويلاً. (٧٨)، في أواخر عهد الحاكم بأمر الله ظهرت دعوى الألوهية، واضطربت مصر بسببها، وحدث حريق مصر، ووقع

القتال بين العناصر العسكرية، وفقد الخليفة السيطرة على جانب كبير من العسكر. فالشعب اضطرب وماج بسبب دعوى الألوهية، وأهل مصر طعنوا فيه وشنعوا عليه، والعناصر العسكرية اختلفت بين يديه بين منفذ لأوامره ومعترض على هذه الأوامر، رأت ست الملك أن تكتم خبر وفاة أخيها الحاكم بأمر الله حتى تمكن نفسها، وكان الناس قد اضطربوا لاختفاء الحاكم وغيبته؛ فأظهرت لهم أنه غائب وسيعود بعد فترة وأن أوامره تصل إليها، ولجات إلى الحيلة والتمويه؛ فرتبت رسلاً يتظاهرون انهم يذهبون من عندها إلى الحاكم ويجيئون من عنده إليها، وكان هؤلاء يموهون على الناس ويقولون لكل من يسألهم " فارقناه في الموقع الفلاني وهو عائد يوم كذا " وفي أثناء ذلك كانت تستميل الرجال وتتألف القلوب بالأموال علي يد ابن دواس وامرته أن يستحلف الناس للظاهر ابن الحكم ففعل ابن دواس ذلك، فقويت شوكت شت الملك وكف الناس عن الاستقصاء في مصير الحاكم [٧٩]

وقد اعتمد الخليفة الحاكم بأمر الله على عيونه من الرجال والنساء لمراقبة حركات رجاله والاهالي ثم يخبرهم بها في اليوم التالي ليعلمهم أنه على علم بتحركاتهم وحتى يضفي على شخصيته هاله من التقديس والإجلال، والشيعة كانت ترى أن الأئمة معصومين عن الخطا ويضيفون عليهم صفة التقديس، هذا إلى جانب استغلال بعض أصحاب الخبر منصبهم في إستنزاف الأهالي مادياً،ولم تتوفر في الغالبية العظمى من أصحاب الخبر صفة الثقة في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله، كما ان نفوسهم كانت ضعيفة، فكانوا يبتزون الأهالي مادياً، وذلك بتهديدهم بإلصاق تهم بهم هم منها أبرياء، وما أن علم الحاكم بامر الله بذلك حتى أمر بقتل أصحاب الخبر عن آخرهم لكذبهم على الناس وكان ذلك سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م . والأرجح انه امر بقتلهم لانكشاف أمرهم. [٨٠]وفى نفس الوقت من أدعى أنه إله كان قد أمر فى عام ٣٩٩هـ بترك صلاة التراويح وعندما صلى أماماً فى المسجد بالمسلمين التراويح قام بقتله[٨١] .

وأعلن الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله بعد مضى ثلاثة أعوام على وفاة الحاكم براءته من دعوى الألوهية التي قيلت في أبيه وأسلافه، ولم يسهم المصريون في نشر دعوة ألوهية الحاكم، بل كان أغلب القائمين بنشرها من الفرس حيث حاولت بعض الطوائف إحياء نحلها القديمة، واتخذت لها مباديء كان من أهمها مناوأة سلطان الإسلام السياسي وإعادة مجد الدولة الفارسية مما يحملنا على الظن أن هؤلاء الدعاة الذين وفدوا على مصر وحاولوا نشر دعوة ألوهية الحاكم كانوا ينتمون إلى هذه الطوائف، وقد عمدوا من وراء دعوتهم التي قاموا بنشرها إلى إثارة الفتن والقلاقل

في القاهرة ليمهدوا بذلك للقضاء على الدولة الفاطمية، غير أن محاولتهم سرعان ما باءت بالفشل[٨٢].

رابعاً – مظاهر الغزو الفكري الفاطمي(القضاة – الفلك والتنجيم– الشعر – المؤلفات):

تمثل الغزو الفكرى الذى قام به الفاطميون فى مصر قبل أن يكون غزواً عسكرياً فى غزو العقول والأفكار ونشر الفتن والشائعات، وكان ذلك عن طريق المؤلفات للفئة المتعلمة وبالفلك والتنجيم للجهلة من العامة وعن طريق الشعراء والقضاة لمن يتمردون على أفكارهم.

القضاة:

كان القضاة كاللعبة التى يحركها الخلفاء الفاطميين للحصول على ما يبغونه من العامة، فمهمتهم هى تنفيذ أوامر الدعوة الشيعية وليس الحكم بما جاء فى كتاب الله، ومن قضاة الفاطميين ودعاتهم كان ابو الحسن على بن النعمان بن محمد بن حيون،رد اليه العزيز بالله الحكم الذى عهده وذلك عام ٣٦٦هـ/٩٧٦م، كذلك ولى على بن النعمان بن حيون ورد اليه عهده العزيز بالله الحكم وقرى عهده فى الجامع الازهر وذل عام ٣٦٦هـ الى ان توفى ٣٧٤هـ/٩٨٤م، عبد العزيز بن محمد بن النعمان بن حيون تولى عاه ٣٩٤هـ/١٠٠٣م، وقتل فى رجب عام ٣٩٨هـ/١٠٠٧م، فى ايام الحاكم بأمر الله [٨٣]ووجد الحاكم بأمر الله ان أسرة النعمان أصابها الفساد لذلك سعى إلى تعيين قاض من أسرة أخرى عرف أفرادها بالتفقه فى الشرع الإسماعيلى،فولى مالك بن سعيد الفارقى فى ٣٩٨هـ/١٠٠٧م، ومنحه سلطات واسعة وتولى من بعده أبناؤه، ومع ذلك اتهم القاضى بالفساد[٨٤] .

فقد ذكرنا من قبل عند حديثنا عن نماذج الدعاة القاضى النعمان، فلم يعد مجرد قاضي القضاة الموظف، بل أصبح يسهم في تركيز الدعوة في وفي بسط عقيدتها وتدوين فقهها، وتسجيل أمجادها وأحداثها بما جعل منه دعامة متينة للفقه الشيعي والفكر الإسماعيلي [٨٥]، ولما آلت الخلافة إلى العزيز سنة ٣٦٥هـ /٩٧٥م عنى كأبيه المعز بنشر المذهب الشيعي وحتم على القضاة أن يصدروا احكامهم وفق هذا المذهب، كما قصر المناصب الهامة على الشيعيين، وأصبح لزاماً على الموظفين السنيين الذين تقلدوا بعض المناصب الصغيرة أن يسيروا طبقاً لأحكام المذهب الإسماعيلي،وإذا ما ثبت على أحدهم التقصير في مراعاتها عزل عن وظيفته، وكان ذلك مما دفع الكثيرين من الموظفين السنة إلى اعتناق المذهب الفاطمي، كذلك من بين الأسباب التي جعلت اهل السنة في مصر يحتفلون بمذاهبهم وتقاليدهم تشريعات الوراثة التي أدخلها الفاطميون، إذ رأوا فيها ما يتنافى مع ما نص عليه القرآن وما أثر عن السنة، فيجيز قانون الشيعة للبنت أن ترث كل

ما تركه أبوها إذا لم يكن لها اخ أو أخت مع وجود ذوي العصبية، وهذا يخالف مذهب السنة الذي يقضي بألا ترث البنت أكثر من نصف الثروة. (٨٦)

الفلك والتنجيم:

ازدهرت هذه العلوم ورعاها الخلفاء الفاطميون؛ لأنها كانت دعامة مذهبهم الديني، بل كان هؤلاء الخلفاء من العلماء المبرزين في بعض هذه العلوم وخاصة في الإلهيات وفي الفلك؛ فالمؤرخون يذكرون أن المعز لدين الله والعزيز والحاكم والحافظ كانوا يرصدون النجوم؛لاستقراء ما وراءها من أحداث . وكان الفاطميون في المغرب يدَّعون معرفة الغيب، ويذيعون أن عندهم كتاب "الجفر" الذي به يتنبئون بالمستقبل، فلما جاءوا مصر نشروا عن أنفسهم هذه الادعاءات، فتهكم المصريون بهم وأطلق المصريون بهم واطلق المصريون نكاتهم على هذا الادعاء، من ذلك ما روي أن العزيز بالله صعد المنبر ذات يوم جمعة فرأي رقعة كتب فيها:

بالظلم والجور قدر رضينا وليس بالكفر والحماقة

إن كنت اعطيت علم غيب فقل لنا كاتب البطاقة

فأقلع العزيز بالله عن ادعائه الغيب بعد ذلك، واضطر أخوه الأمير تميم الشاعر إلى ان يقول في إحدى قصائده:

ولما اختلفنا في النجوم وعلمها وفي أنها بالنفع والضر قد تجري

فمن مؤمن منا بها ومكذب ومن مكثر فيها الجدال ولا يدري (٨٧)

فنجد أن المعز لدين الله رفع منزلة المنجم أبي عبد الله بن القلاني إلى أن توفى سنة ٣٨٦هـ /٩٩٦م، وأنشأ الحاكم بالمقطم منزلاً يرصد فيه النجوم وعمل له منجمه أبو الحسن علي بن يونس الزيج الحاكي في أربعة مجلدات، ويقول ابن خلكان عنه: إنه لم ير في الأزياج على كثرتها أطول منه(٨٨)،وحذا الحاكم حذو أسلافه المعز والعزيز في الاهتمام برصد النجوم ومعرفة ماوراءها من الأحداث، وصار يشجع الفلكيين والمنجمين ويغدق عليهم المنح والعطايا، وأخذ المنجمون يسيطرون على عقول الكثير من الناس حتى اضطر الحاكم سنة ٤٠٤هـ/١٠١٣م، إلى إصدار مرسوم بتحريم مهنة التنجيم ، لكنه مع ذلك ظل حريصاً على رصد النجوم، كما شغف بالتطلع إلى معرفة أخبار رعاياه، ولكي يوهم الناس أنه واقف على حركاتهم، اتخذ جواسيس يطوفون بالأسواق والدور، يرفعون إليه تقاريرهم عما يقع في نواحي حاضرته من الأحداث.(٨٩)

شعر الدعوة الشيعية الإسماعيلية:

كان للعقائد الفاطمية تأثير في الشعر المصري؛ ذلك أن الشعراء الذين اتصلوا بالأئمة كانوا يمدحونهم بالصفات التي صبغها المذهب على الأئمة، ويتعمد الشاعر أن يستعمل في شعره المصطلحات التي اصطلح عليها علماء المذهب ودعاته، وكلما أمعن الشاعر في استخدام هذه المصطلحات وإدخال الصفات الدينية الخاصة في شعره ازدادت قيمة الشاعر عند الأئمة وكبار رجال الدعوة وكثر عطاؤه وزاد جاريه، فكان الشعراء على هذا النحو دعاة للأئمة والعقائد دون أن يكون لهم في مراتب الدعوة شأن. وفي الوقت نفسه كان الشعراء سبب اتهام المذهب الفاطمي بالخروج عن الدين؛ فالشعر أسرع في الانتقال على أفواه الناس من كتب العلماء، وكتب الدعاة لا يقربها إلا أتباع مذهبهم فقط، ومجالس حكمتهم لا يحضرها إلا من استجاب لهم، فإذا كان ذلك كذلك فالشعر يختلف؛ لأنه يسير بين الناس ويرويه الرواة؛ فإذا سمع مستمع إلى تلك الأبيات التي زخرت بعقائد الفاطميين دون أن يكون له إلمام بعقائد المذهب وما فيها من تأويلات باطنية فهو لا يستطيع أن يدرك معنى ما جاء في هذا الشعر وما قصد إليه الشاعر .

ونقرأ الأن أقوال النقاد والمؤرخين عن ابن هانيء الأندلسي وما وصف به من شدة الغلو في مدح المعز لدين الله الفاطمي حتى رماه بعضهم بالخروج عن الدين جملة، فلو كان النقاد يعرفون التأويل الباطني لشعر ابن هانيء،أو أنهم حاولو معرفة ما أراده الشاعر وقصد إليه لرأيناهم يرجعون عن كثير مما قالوه في الشاعر، هذا الشعر المشحون بالعقائد الإسماعيلية كان سبباً في ضياعه وعدم إقبال الناس عليه؛ لأنه كفر في نظرهم حتى إن أصحاب مجاميع الشعر المصري رفضوا أن يتحدثوا عنه أو أن يستشهدوا به، فالعماد الأصفهاني مثلاً عندما أراد أن يجمع في خريدته شعر شعراء المائة الخامسة قال عن ابن الضيف الشاعر: " وكنت عازماً لفرط غلوه على حطه؛ لأنه اساء شرعاً وإن أحسن" (٩٠)

المؤلفات:

كان لداعى دعاة الفاطميين القاضى النعمان اثنان وأربعون كتاباً، وفيضي يحصي منها أربعة وأربعين، ومعظم كتب النعمان ألفت في عهد المعز، فيقول إنه كتبها بطلب منه إذ يمده بمادتها ويلخصها له، فيتبسط فيها النعمان، ثم يعرضها عليه فيستحسنها غالباً وينصحه أحياناً بالزيادة فيها أو بالتشذيب منها، ويشير عليه بتبسيطها أو تحوير عنوانها(٩١)، وأمره بقراءة كتب الأئمة من آبائه، ونشر علومهم على أتباعه وأوليائه، وأن يرتبهم على مراتبهم، ويوليهم من منن ولي الله بحسب علومهم وما هو من واجبهم (٩٢)، وأمر الدعاة أن يحفظوا الناس كتاب دعائم

الإسلام للداعي الشيعي محمد بن النعمان قاضي قضاة الدولة الفاطمية أيام المعز لدين الله، وكتاب الفقة الذي ألفه الوزير يعقوب بن كلس على مذهب آل البيت، ورصد مكافآت مالية لمن يقوم بحفظ هذه الكتب[٩٣]،وإن ركزنا على هذه المؤلفات فقط، وذلك لأنها كانت الأساس الذى يسير عليه من يعد مؤلفات الشيعة فيما بعد، فهى كانت مصدرهم الأول لنشر فكرهم .

سادساً- نتائج الغزو الفكري الفاطمي:

من نتائج الغزو الفكرى أن أغرت الناس بالسكوت، ومنهم أغرتهم بالصبر، ومنهم أغرتهم بأن يبايعوا. والمصريون أميل الناس إلى الأمن إلا أن يفقدوا أسبابه كلها، واحرصهم على الطاعة إلا أن يدفعوا إلى غير الطاعة، وأوفاهم قلباً بالمحبة إلا أن تمحى من قلوبهم أسباب المحبة، وأحب الناس في أن تمضي أمورهم رخاء لا يجنحون إلى الاضطراب إلا إذا حملوا عليه حملاً، هذا خلقهم لا عن ضعف واستكانة أو ذلة، ولكنهم يحبون ألا يستعجلوا التجربة، وألا يقطعوا عليها سبيلها، وألا يثيروا حولها ما يفسدها إلى أن تسقط التجربة نفسها؛ من أجل ذلك عاشوا يمون التجارب كاملة لا يحسون لوماً في دخيلتهم على محاولة منهم كانت ضد هذه التجارب التي مرت بهم، وهم على ذلك مفيدون والخاسر غيرهم، وهم أمة والخاسر فرد أو أسرة، والأمم ذات تاريخ ممدود، والأسر ذات تاريخ محدود، وما تخسره الأسر ينضم إلى تاريخ الأمم عظة تنتفع بها، ودروساً تستملى منه تاريخها[٩٤].

وتركز الاهتمام في تحويل المصريين إلى المذهب الشيعي، واتبعت الخلافة الفاطمية لذلك عدة وسائل منها:

- إسناد المناصب العليا وخاصة القضاء إلى الشيعيين.
- اتخاذ المساجد الكبيرة مراكز للدعاة الفاطمية ونشر أفكارهم وبث شائعاتهم ونشر أكاذيبهم، وهي وقتذاك مسجد عمرو بن العاص، ومسجد أحمد بن طولون، والجامع الأزهر.
- اهتمامهم بتعيين أحد كبار المتفقهين في مذهب الشيعة للقيام بنشر شائعاتهم وإدعاتهم.
- تعيين داعي الدعاة وكانت منزلة هذا الداعي الكبير تلي قاضي القضاة ويتزيا بزيه، وكان يعاونه اثنا عشر نقيباً ونواب في سائر البلاد، واشترطوا فيه أن يكون عالماً بجميع مذاهب أهل البيت وكثيراً ما تقلد رجل واحد منصبي قاضي القضاة والدعوة. [٩٥]

وبالرغم من أن الدولة الفاطمية زالت على يد الأيوبيين، وأن الدعوة الفاطمية اضمحل أمرها فلم يعد الدعاة يقومون بنشاطهم، فإن الشعراء استمروا في مديحهم في نفس التيار الذي رأيناه عند الفاطميين، بل خلعوا على سلاطين الأيوبيين نفس الصفات التي خلعها الفاطميون على أئمتهم، وشعراء الفاطميون كانوا يضمنون في أشعارهم الآية القرآنية: " واطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم "، وقال الدعاة أن هذه الآية أنزلت في علي بن ابي طالب، فأخذ ابن سناء الملك هذا المعنى واودعه شعره.

ومن الصفات التي خلعها الفاطميون على علي بن أبي طالب أنه قسم الجنة والنار، أي أنه قسم الناس بين الجنة والنار؛ فمبغضه في النار ووليه في الجنة.

والشيعة ذهبوا إلى أن في القرآن الكريم عدداً من الآيات أنزلت في أهل البيت، وعدوا ذلك من فضائل أئمتهم ومن مناقبهم. (٩٦)، وقد تحول كثير من السنيين بل ومن النصارى واليهود –بعد إسلامهم– إلى المذهب الشيعي طمعاً في الهبات التي كان الفاطميون يغرون بها الناس للانضمام إلى مذهبهم وتقلد كثير من اليهود بعد إسلامهم وتشيعهم أرقى المناصب في الدولة من بينها منصب الوزارة. (٩٧).

فنجد أن الفاطميون قد نجحوا فى نشر شائعاتهم وكذلك نجحوا فى عمل غزو فكرى حتى قبل الغزو العسكرى لمصر كان دعاتهم جنود قائمة لدعوتهم، ومن خلال ذلك نجحوا فى إقامة دولة قوية لهم فى مصر .

الهوامش:

(١) أبن إياس(محمد بن أحمد بن اياس الحنفى ابو البركات ت٩٠٨هـ): نزهه الأمم في العجائب والحكم، تحقيق:محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي القاهرة، ١٩٩٥،ص٢٢.القلقشندى(ابى العباس احمد القلقشندى): صبح الاعشى،ج٣، دار الكتب الخديوية،، المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٣٢٢هـ/١٩١٤م، ص٢٨٣.

(٢) خضر احمد عطا الله: الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٩،ص٣٨.

(٣) ابن ظهيره: محاسن مصر والقاهرة، تحقيق: مصطفى السقا وكامل المهندس، القاهرة: دار الكتب، ١٩٦٩،ص١٣٣.

(٤) عبد الله محمد جمال الدين: الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩١م،ص٥٠.

* المهدى: قيل هو: عُبيْدُ الله ابن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام،وقيل ايضاً إن المهديّ هو عُبيْدُ الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليه السلام، وقيل: هو عُبيْدُ الله بن عليّ بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن الحسن ابن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام،وقيل هو: عُبيْدُ الله ابن التقيّ ابن الوفيّ ابن الرضيّ، وقد وجدنا هؤلاء الذين تغلبو على المغرب ثم مصر، أعني سعيد بن الحسين وأولاده، وهو الذي تسمى بالمغرب عُبيْدُ الله وتلقب بالمهديّ، لا يعرف لهم ذكراً لا في الأصول ولا في الفروع، غير ما يوهمون به العامة والرعاع من الناس أنهم من ولد علي بن أبي طالب عليه السلام، ولا يذكرون لهم نسباً إليه .انظر:أبي بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق صلاح الدين المنجد، مركز ودود للمخطوطات، ١٩٦١م، ص٧. وأول من ملك منهم المهدي، وكان من سلمية حداداً اسمه عبيد وكان يهودياً، فدخل بلاد المغرب وتسمى بعبد الله، وادعى أنه شريف علوي فاطمي، وقال عن نفسه: إنه المهدي، كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء والأئمة. أبي العباس شهاب الدين أحمد بن خليل "المعروف بابن اللبودي": النجوم الزواهر في معرفة الأواخر، تحقيق مأمون الصاغرجي و محمد أديب الجادر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٩٥،ص٨٨.

(٥) المسعودى(ابى الحسن على بن لحسين بن على المسعودى ت٣٤٦هـ/٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، راجعه: كمال حسن مرعى، ج٤، المكتبة العصرية، صيدا بيروت،ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ص٢٤٧.

(٦) الكندى: ولاة مصر، تحقيق: حسين نصار، بيروت: دار صاد، ١٩٥٩ م،صر٣٠٦،٣٠٥، كذلك انظر: علي إبراهيم حسن: تاريخ جوهر الصقلي "قائد المعز لدين الله الفاطمي "، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣، ص٢٥.

(٧) الكندى: المصدر السابق، ص٣٠٥، كذلك : يمنى رضوان: أصحاب الخبر والعيون في العصر الفاطمي (٢٩٧-٥٦٧هـ / ٩٠٩ -١١٧١ م)، كلية الآداب، جامعة الفيوم، دن،ص١٧٠.

(٨) ابن زولاق: فضائل مصر واخبارها وخواصها،تحقيق: على محمد عمر(د)، مكتبة الخانجى، الهيئة العامة للكتاب، ص٤٣. المقريزى: المصدر السابق، ص١٠٢، محمد جمال الدين سرور: تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٣م،ص٦٧،٦٦ .

* جوهر الصقلى: ولد جوهر بجزيرة صقلية، إحدى جزر الدولة الرومانية ؛ فهو باعتبار مولده رومي الأصل ؛ وكان العرب يطلقون على أهالي الدولة الرومانية (الشرقية والغربية) اسم الروم.، وانما وجدنا "جوهراً" يلقب بالقائد، وابنه "حسين" بقائد القواد ، انظر: علي إبراهيم حسن: تاريخ جوهر الصقلي "،ص١، عبد الله محمد جمال الدين: الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩١م، ص٢٢٦.

(٩) الكندي: ولاة مصر،ص٣١٥.

(١٠) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط ، راجعه: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٨،ص٩٠٦.

(١١) ابن منظور(ابى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقى المصرى): لسان العرب، المجلد الأول، دار صادر،بيروت،، ص٢٣٧٨

(١٢) ابن منظور : المصدر السابق، ج٣٧، ص ٣٢٥٣، الفيروز آبادى: المصدر السابق، ص١١٨٧.

(١٣) ابن منظور: المصدر السابق،ج٨ ص٣٤٥١،، كذلك: الفيروز آبادى: المصدر السابق ، ص١٢٦٠.

(١٤) على عبد الحليم محمود (د):الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام القسم الاول،ادارة الثقافة والجامعة، جامعة الامام محمد بن سعود، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٩،٨.

(١٥) النعمان بن حيون التميمى المغربى (ت٣٦٣هـ): اساس التأويل،تحقيق: عارف تامر، منشورات دار الثقافة بيروت،ص١٦، ١٧.

(١٦) المقريزى(تقى الدين أحمد بن على المقريزى): اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا،،تحقيق: جمال الدين الشيال(د)،ج١، القاهرة،ط٢، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ١٢٠،أحمد السيد الصاوي: مجاعات مصر الفاطمية " أسباب ونتائج "، بيروت: دار التضامن للطباعة، ط١، ١٩٨٨،ص٣٠.

(١٧) ابن تغرى بردى(جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تقديم وتعليق: محمد حسين شمس الدين،ج٣ بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢، ص٢٠٨هامش.

* المعز لدين الله: هو أبو تميم معدّ بن إسماعيل المنصور بالله محمد القائم بأمر االله ابن المهدي،. ولد بالمغرب بالمهدية وأربعة أخماس ساعة من نيوم الاثنين الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاث مئة تولى بعد أبيه سنة ٣٤١هـ وكان عمره اربعا وعشرين سنة.انظر:الدوداري(ابي بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري): كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق صلاح الدين المنجد، مركز ودود للمخطوطات، ١٩٦١م،ص١٤٠،كذلك:انظر: المقريزى: اتعاظ الحنفاء، ج١، ص٩٣.

* العزيز بالله: هو نزار أبو منصور العزيز بالله بن المعز لدين الله أبي تميم معد بن المنصور بالله أبي طاهر إسماعيل بن القائم بامر الله محمد بن المهدي ابي محمد عبيد الله العبيدي الفاطمي المغربي ثم المصري ن ثاني خلفاء مصر من بني عبيد، والخامس من المهدي إليه ممن ولي من آبائه الخلافة بالمغرب، مولده بالمهدية من القيروان ببلاد المغرب في يوم عاشوراء سنة اربع وأربعين، وقيل سنة أثنتين وأربعين وثلاثمائة، وخرج مع أبيه المعز من المغرب إلى القاهرة ودام بها إلى أن مات أبوه المعز معد بعد أن عهد إليه بالخلافة، فولي بعده في شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة وله أثنتان وعشرون سنة. انظر: ابن تغرى بردى: المصدر السابق،.ص١١٦.

* الحاكم بأمر الله:هو الحاكم بأمر الله ابو على منصور ابن العزيز بالله أبى المنصور نزار ابن المعز لدين الله ابى تميم معد ولد فى القاهرة فى ٢٣ ربيع الاول عام ٣٧٥هـ، تولى الخلافة ٣٨٦هـ، وكان سنه ١١ سنة وخمسة أشهر انظر المقريزى: اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص ٣،٤

(١٨) ابن العماد(شهاب الدين أبى الفلاح عبد الحى بن أحمد بن محمد العكرى الحنبلى الدمشقى ١٠٣٢-١٠٨٩هـ):شذرات الذهب فى خبر من ذهب، ج٤، تحقيق:عبد القادر الأرناؤوط، محمود الارناؤوط،دار ابن كثير، دمشق، بيروت،،ط١٤١٠،١هـ/١٩٨٩م،ص ٣٢٦.

(١٩) المقريزى: المصدر السابق، ص١٣٨

(٢٠) المصدر السابق،ص١٤٢

(٢١) محمد كامل حسين: في أدب مصر الفاطمية، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٥٠م،ص٤٣.

(٢٢) عبد الرؤوف جرار: سقوط الدولة الفاطمية في المغرب ونبذ التشيع، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع٢٠، ٢٠١٠م.،ص١٢٠.

* القاضى النعمان:هو القاضي علي بن النعمان بن حيون، ولد في رجب سنة ٣٢٨هـ بالمغرب، وقدم مع المعز إلى مصر، فأمره بالنظر في الحكم، فكان يحكم هو وأبو الطاهر(القاضي السابق) إلى أن أصابه الفالج، ففوض العزيز لابن النعمان الانفراد بالقضاء، وكان ذلك في سنة ٣٦٦هـ، فأتبع في أحكامه المذهب الإسماعيلي، لا المذهب الشافعي، وهو أول من لقب بقاضي القضاه في مصر، توفى في رجب سنة ٣٧٤هـ، وقو تولى عدد كبير من أسرته القضاء في العصر الفاطميانظر: المقريزي: المصدر السابق،ج١،،ص٣١.

(٢٣) القاضي نعمان بن محمد: تاريخ المجالس والمسايرات ، تحقيق : الحبيب الفقي وإبراهيم شبوح ومحمد اليعلاوي، دار المنتظر، بيروت، لبنان،ص١٣،كذلك انظر: حوريه عبده عبد المجيد سلام: علاقات مصر ببلاد المغرب من الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية، رسالة دكتوراة،اشراف: د/حسن احمد محمود، قسم التاريخ، الآداب، جامعة القاهرة،١٩٧٤م، ص٣٤٦.

(٢٤) عيسى بن سيف بن حمود: سياسة الظاهر لإعزاز دين الله في إدارة الدولة الفاطمية، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة مؤتة، ٢٠٠٥،ص٥٥.

(٢٥) حسن عبد الوهاب: حضارة الدولة الفاطمية وعمارتها،القاهرة: مكتبة الآثار المصرية، ١٩٦١، ص٨٦-٨٧.

* يعقوب بن كلس: وكان الوزير ابن كلس يهودياً من اهل بغداد خبيثاً ذا مكر وحيله ودهاء وذكاء وفطنة وكان في قديم أمره خرج إلى الشام فنزل بالرملة فجلس وكيلاً للتجار، فلما اجتمعت الأموال التي للتجار كسرها وهرب إلى مصر في أيام كافور الاخشيدي صاحب مصر ؛ فتاجره وحمل إليه متاعاً كثيراً ؛ ويحال بماله على ضياع مصر، وكان اذا دخل ضيعة عرف غلتها وارتفاعها وظاهر أمرها وباطنها، وكان ماهراً في إشغاله لا يسأل عن شيء من أمورها إلا أخبر به عن صحة، فكبرت حاله، وخبر كافور بخبره وما فيه من الفطنة والسياسة، فقال: " لو كان هذا مسلماً لصالح أن يكون وزيراً ؛ فبلغه ما قال كافور، فطمع في الوزارة ؛ فدخل جامع مصر في يوم الجمعة، وقال " أنا أسلم علي يد كافور " فبلغ الوزير ابن حنزابة – وزير كافور – ما هو وما طمع فيه، فقصده، وخاف منه، فهرب إلى المغرب ؛ وقصد يهودا كانوا هناك مع أبي تميم المعز لدين الله –اصحاب امره – فصارت له عندهم حرمة، فلم يزل معهم إلى ان اخذ المعز مصر ؛ فسار معه إليها.انظر: المقريزي: المصدر السابق ، ج١، ط٢،ص٢٦٨.

(٢٦) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٣م، ص٧٠،٧١.

(٢٧) المقريزى: المصدر السابق، ص٤ هامش،١٦كذلك انظر: محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق،ص١٧٥.

(٢٨) ابن الأثير (ابى الحسن على بن ابى الكرم محمد بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى ت٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، جـ٧،راجعه: محمد يوسف الدقاق(د)،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص٣٠٩، ٣١٠.

(٢٩) النعمان بن حيون التميمى المغربى (ت٣٦٣هـ): اساس التأويل،تحقيق: عارف تامر، منشورات دار الثقافة بيروت، ص١٤.

(٣٠) الكرمانى (أحمد حميد الدين الكرمانى): راحة العقل، تحقيق: مصطفى غالب، دار الأندلس،بيروت، ط٣، ١٩٨٣م،ص٢٩

(٣١) محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق، ص١٧٦.

(٣٢) حوريه عبده عبد المجيد سلام: المرجع السابق،ص٣٤٧.

(٣٣) حسن عبد الوهاب: حضارة الدولة الفاطمية وعمارتها،القاهرة: مكتبة الآثار المصرية، ١٩٦١،ص٨٦.

(٣٤) عيسى بن سيف بن حمود: المرجع السابق، ص٥٦،٥٥.

(٣٥) حسن عبد الوهاب: المرجع السابق،ص٨٦.

(٣٦) المقريزي: المصدر السابق، ج١،ص١٤٢.

(٣٧) محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق، ص٨١.

(٣٨) حسن إبراهيم حسن ، وطه أحمد شرف: عبيد الله المهدي أمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٧،ص٣١٢، ٣١٣.

(٣٩) محمد كامل حسين: في أدب مصر الفاطمية، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٥٠، ص١٢،٦.

(٤٠) السبكى (تاج الدين عبد الوهاب السبكى ت٧٧١هـ):معيد النعم ومبيد النقم،مؤسسة الكتب الثقافية،١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ط١، ص١١٨،١١٧.

(٤١) هيفاء عاصم محمد: وسائل التسلية والترفيه في مصر في العصر الفاطمي ٣٥٨-٥٦٧هـ / ٩٦٨-١١٧١م، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، مج١، ع ٦، ٢٠١٦، ص ٣٨١-٣٨٢.

(٤٢) المقدسى: احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولى، القاهرة، ط١٤١١،٣هـ/١٩٩١م،ص٢٠٥.

(٤٣) هيفاء عاصم محمد: المرجع السابق، ص ٣٨١– ٣٨٢.

(٤٤) على صافى حسين: الادب الصوفى في مصر (ابن الصباغ القوصى شيخ التصوف في القرن السابع الهجرى)،دار المعارف بمصر، ص٣٦

(٤٥) هيفاء عاصم محمد: المرجع السابق، ص ٣٨١– ٣٨٢.

(٤٦) اللبودى(أبي العباس شهاب الدين أحمد بن خليل "المعروف بابن اللبودي"): النجوم الزواهر في معرفة الأواخر، تحقيق مأمون الصاغرجي و محمد أديب الجادر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٩٥،ص٨٨.

(٤٧) الدواداري: المصدر السابق،ص٢، ١٨.

(٤٨) الكرمانى: المصدر السابق، ص ٢٥٦، ٢٥٧.

(٤٩) محمد كامل حسين: المرجع السابق، ص٣٨–٤٣.

(٥٠) علي إبراهيم حسن: تاريخ جوهر الصقلي "،ص٥٤، ٥٥.

(٥١) المقريزي: المصدر السابق، ج١،ص١٠٢.

(٥٢) القاضى النعمان: المجالس والمسايرات، ص٩: ١١، كذلك: محمد كامل حسين: المرجع السابق،ص٦٦، ٦٧.

(٥٣) عارف تامر: تاريخ الإسماعلية " الدولة الفاطمية الكبيرة"، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، ١٩٩١م،ص١٤٣.

(٥٤) المرجع نفسه.

(٥٥) عيسى بن سيف بن حمود: المرجع السابق،ص٥٥.

(٥٦) حسن إبراهيم حسن ، وطه أحمد شرف: المرجع السابق،ص٣١٣، ٣١٤.

(٥٧) المقريزي: المصدر السابق، ج١،ص٢٦٨.

(٥٨) ابن الصيرفى (تاج الرياسة أمين الدين ابو القاسم على بن منجب بن سليمان الكاتب٤٦٣–٥٤٢هـ/١٠٧١–١١٤٧م): الإشارة إلى من نال الوزارة،تحقيق: ايمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م،ص٢٦.

(٥٩) ابن تغزي بردي الأتابكى: المصدر السابق، ج٤،ص١٢٠، ١٤٥.

(٦٠) خضر احمد عطا الله: الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي،القاهرة: دار الفكر العربي،١٩٨٩،ص٤٣، ٤٨.

(٦١) ابن عذاري (محمد بن عزاري المراكشي كان حياً ٧١٢هـ): البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، جـ١، تحقيق: ج.س. كولان، ليفي بروفنسال، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص١٥٩.

(٦٢) يمنى رضوان: المرجع السابق،ص١٧١، ١٧٣.

* الظاهر لاعزاز دين الله: أبو الحسن علي ابن الحاكم بأمر الله أبي علي منصور أمه أم ولد تدعى رقية، ويقال اسمها آمنة بنت الأمير عبد الله بن المعز، وإن ست الملك سلطانة، أخت الحاكم، كانت تعادي آمنة هذه . ومولده بالقصر من القاهرة على مضي ثلاث ساعات من ليلة الأربعاء عاشر شهر رمضان، سنة خمس وتسعين وثلمثائة ؛ وبويع بالخلافة في يوم عيد الأضحى سنة إحدى عشرة وأربعمائة، وله من العمر ست عشرة سنة وثلاثة أشهر واتفق في هذا اليوم أن صلى للحاكم في خطبة العيد، ثم بويع الظاهر بعد عودة القاضي من المصلى، فكان بين الدعاء في الخطبة للحاكم وبين أخذ البيعة للظاهر ثلاث ساعات، ولم يتفق مثل ذلك. وتوفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة، وعمره إحدى وثلاثون سنة وأحد عشر شهرا وخمسة أيام . ومدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام، انظر: المقريزى : المصدر السابق،ج٢،ص١٢٤، ١٢٥.

(٦٣)عبد المنعم ماجد: الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه، ص١١٧،١١٦.

(٦٤) عيسى بن سيف بن حمود: المرجع السابق،ص٥٦.

(٦٥)خضير نعمة هادى: مصادر تمويل التعليم من بيت المال فى العصر الفاطمى (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٨-١١٧١م)،قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية،العدد ٦٧، ٢٠١٦م، ص٥١.

(٦٦) محمد كامل حسين: المرجع السابق،ص٦٨، ١٠٥.

* اختلف المؤرخون حول نسبهم، فمنهم من يرى صحة نسبهم لآل البيت انظر: ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م): تاريخ ابن خلدون،المقدمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون، ص٣٨٤ وما بعدها .راجع كذلك: الداعي إدريس عماد الدين: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق: محمد اليعلاوي (د)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥ م،ص٢٤٨ . راجع أيضاً: ابن أبي دينار(أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم

الرعينى القيرواني):المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس ، دار المسيرة، بيروت، بدون، ص ١١٧

وهناك أيضاً من المؤرخين من يرى عدم صحة نسبهم لآل البيت، ودليلهم على ذلك ما ورد في تسلسل نسبهم نجدهم ينتسبون إلى الحسين بن محمد بن جعفر الصادق، في حين أن محمد بن إسماعيل هذا لم يكن له ولد اسمه الحسين، وهذا يؤكد عدم صحة نسبهم، ومنهم من ينسبهم إلى يهود سلمية . انظر: المقريزي: المصدر السابق،ج١، ص٢٣

ونتفق مع رأي الدكتور: عبد الحليم عويس في إنهم لا ينتمون لآل البيت ولكنهم ركبوا دعوة آل البيت للوصول إلى الحكم، إذ أن هذه الدعوة كانت طريقاً شرعياً من طرق الوصول إلى الحكم . أنظر: قضية نسب الفاطميين، دار الصحوة ، ١٩٨٦، ص٢٧

(٦٧) ابن كثير(ابو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقى ت٧٧٤هـ):البداية والنهاية،ج١١،مكتبة المعارف،ط٢، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص١١٦.

(٦٨) الدواداري: المصدر السابق،ص٧،٨،١٤٧،١٤٦.

(٦٩) إدريس عماد الدين: المصدر السابق،ص٢٨.

(٧٠) المقريزي: المصدر السابق، ج١،،ص٢٩،٣١.

(٧١) ابن تعزي بردي الأتابكى: المصدر السابق، ج٤،،ص١١٨.

(٧٢) خضر احمد عطا الله: الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٩،ص٤٢، ٤٣.

(٧٣) القاضى النعمان: افتتاح الدعوة،تحقيق: فرحات الدشراوى، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،ط٢، ص٣٣٨،

(٧٤) القاضي نعمان بن محمد: تاريخ المجالس والمسايرات ،ص٢٤.

(٧٥)المقريزي: المصدر السابق، ج١،ص٢٣١.

(٧٦) ا بن تعزي بردي الأتابكى: المصدر السابق، ج٤،ص٧٨.

(٧٧) يمنى رضوان: المرجع السابق،ص١٧٣.

(٧٨) حسن إبراهيم حسن ، وطه أحمد شرف: المرجع السابق،ص٣٠٤.

(٧٩) ايمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية فى مصر (تفسيرجديد)، مكتبة الاسرة، ٢٠٠٧م، ص١٧٤، ١٧٥، كذلك:أحمد كامل محمد صالح: الأميرة سلطانة ست الملك، حوليات كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ع١٥، ١٩٩٢م،ص ٦٤، ٧٣..

(٨٠) يمنى رضوان: المرجع السابق،ص١٧٣، ١٧٤.

(٨١) ابن الآثير: الكال في التاريخ،جـ٨،ص١٢٩.

(٨٢) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٣م،ص١٠٠.

(٨٣) الكندى: الولاة والقضاة،صححه: رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيين،بيروت، ١٩٠٨م، ص ٤٩٤، ٤٩٦،٤٩٥.

(٨٤)عبد المنعم ماجد: الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه، مكتبة الانجلو المصرية،ط٢، ١٩٨٣م،ص٦٩.

(٨٥) القاضي نعمان بن محمد: تاريخ المجالس والمسايرات ،ص٧، ٨، ١٢، ٢٤.

(٨٦) محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق،ص٨١،٨٢، ٨٥.

(٨٧)خضر أحمد عطا الله: المرجع السابق،ص١١٣، ١١٤..

(٨٨) محمد كامل حسين: في أدب مصر الفاطمية ،ص١٠٠

(٨٩) محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق،ص٩٥.

(٩٠) محمد كامل حسين: المرجع السابق، ص١٧٣.

(٩١) القاضي نعمان بن محمد: تاريخ المجالس والمسايرات ،ص٧، ٨، ١٢، ٢٤.

(٩٢) إدريس عماد الدين: المصدر السابق،ص٥٥٦.

(٩٣) عيسى بن سيف بن حمود: المرجع السابق،ص٥٦.

(٩٤) إبراهيم الإبياري: نهاية المطاف الدولة الفاطمية، ط٢، دار القلم، القاهرة، ١٩٦١م،ص٧٠.

(٩٥) القلقشندى: صبح الاعشى، ج٣، ص ٤٨٧، ٤٨٨، كذلك: محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق،ص٨٠.

(٩٦) محمد كامل حسين: التشيع في الشعر المصري في عصر الأيوبيين والمماليك، مجلة كلية الآداب، مج١٥، ج١، ١٩٣٥، ص ٦٤-٨٤.

(٩٧) خضر احمد عطا الله: المرجع السابق،ص٣٨.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١. ابن أبي دينار(أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم الرعينى القيرواني): المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، دار المسيرة، بيروت، بدون.

٢. ابن الأثير (ابى الحسن على بن ابى الكرم محمد بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى ت٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، جـ٧،٨،راجعه: محمد يوسف الدقاق(د)،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣. أبن إياس (محمد بن أحمد بن اياس الحنفى ابو البركات ت٩٠٨هـ): نزهه الأمم في العجائب والحكم، تحقيق:محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي القاهرة، ١٩٩٥م.

٤. ابن تغرى بردى(جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تقديم وتعليق: محمد حسين شمس الدين،ج٣،ج٤ بيروت: دار الكتب العلمية، ط١،١٩٩٢ م.

٥. القلقشندى(ابى العباس احمد القلقشندى): صبح الاعشى،ج٣، دار الكتب الخديوية،، المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٣٢٢هـ/١٩١٤م.

٦. ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م): تاريخ ابن خلدون،المقدمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.

٧. الدوادارى(أبي بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري): كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق صلاح الدين المنجد، مركز ودود للمخطوطات، ١٩٦١م.

٨. ابن زولاق: فضائل مصر واخبارها وخواصها،تحقيق: على محمد عمر(د)، مكتبة الخانجى، الهيئة العامة للكتاب،بدون.

٩. السبكى(تاج الدين عبد الوهاب السبكى ت٧٧١هـ):معيد النعم ومبيد النقم،مؤسسة الكتب الثقافية،١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

١٠. ابن الصيرفى (تاج الرياسة أمين الدين ابو القاسم على بن منجب بن سليمان الكاتب٤٦٣-٥٤٢هـ/١٠٧١-١١٤٧م): الإشارة إلى من نال الوزارة،تحقيق: ايمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م

١١. ابن ظهيره: محاسن مصر والقاهرة، تحقيق: مصطفى السقا وكامل المهندس، القاهرة: دار الكتب، ١٩٦٩م.

١٢. ابن عذاري (محمد بن عزاري المراكشي كان حياً ٧١٢هـ): البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، جـ١، تحقيق: ج.س. كولان، ليفي بروفنسال، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

١٣. ابن العماد(شهاب الدين أبى الفلاح عبد الحى بن أحمد بن محمد العكرى الحنبلى الدمشقى ١٠٣٢-١٠٨٩هـ):شذرات الذهب فى خبر من ذهب، ج٤، تحقيق:عبد القادر الأرناؤوط، محمود الارناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت،،ط١، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

١٤. الداعى عماد الدين: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب "القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار"، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.

١٥. الفيروزابادى(مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط ، راجعه: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٨م.

١٦. ابن كثير(ابو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقى ت٧٧٤هـ):البداية والنهاية،جـ١١،مكتبة المعارف،ط٢، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

١٧. الكرمانى(أحمد حميد الدين الكرمانى): راحة العقل، تحقيق: مصطفى غالب، دار الأندلس،بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

١٨. الكندى: ولاة مصر، تحقيق: حسين نصار، بيروت: دار صاد، ١٩٥٩م.

١٩. الكندى (ابو عمر محمد بن يوسف): الولاة والقضاة،صححه: رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيين،بيروت، ١٩٠٨م.

٢٠. ابن اللبودى(أبي العباس شهاب الدين أحمد بن خليل "المعروف بابن اللبودي": النجوم الزواهر في معرفة الأواخر، تحقيق: مأمون الصاغرجي و محمد أديب الجادر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٩٥م.

٢١. المقدسى: احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولى، القاهرة، ط١٤١١،٣هـ/١٩٩١م.
٢٢. المقريزى(تقي الدين أحمد بن علي المقريزي): اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، ج٢،١، ط٢، القاهرة، ١٩٩٦م.
٢٣. المسعودى(ابى الحسن على بن لحسين بن على المسعودى ت٣٤٦هـ/٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، راجعه: كمال حسن مرعى، ج٤، المكتبة العصرية، صيدا بيروت،ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.
٢٤. ابن منظور (ابى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقى المصرى): لسان العرب، ج١،ج٣٧، دار صادر،بيروت .
٢٥. النعمان بن حيون التميمى المغربى (ت٣٦٣هـ): اساس التأويل،تحقيق: عارف تامر، منشورات دار الثقافة بيروت
٢٦. القاضي نعمان بن محمد: تاريخ المجالس والمسايرات ، تحقيق : الحبيب الفقي وإبراهيم شبوح ومحمد اليعلاوي، دار المنتظر، بيروت، لبنان.

ثانياً: المراجع:

١. إبراهيم الإبياري: نهاية المطاف الدولة الفاطمية، دار القلم، القاهرة، ط١٩٦١،٢م.
٢. أحمد السيد الصاوي (د): مجاعات مصر الفاطمية " أسباب ونتائج "، بيروت: دار التضامن للطباعة، ط١، ١٩٨٨م.
٣. أحمد كامل محمد صالح(د): الأميرة سلطانة ست الملك، حوليات كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ع١٥، ١٩٩٢م
٤. ايمن فؤاد سيد(د): الدولة الفاطمية فى مصر (تفسيرجديد)، مكتبة الاسرة، ٢٠٠٧م.
٥. حسن عبد الوهاب (د): حضارة الدولة الفاطمية وعمارتها،القاهرة: مكتبة الآثار المصرية، ١٩٦١م.
٦. حسن إبراهيم حسن (د)، وطه أحمد شرف: عبيد الله المهدي أمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٧ م.

٧. حوريه عبده عبد المجيد سلام(د): علاقات مصر ببلاد المغرب من الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية، رسالة دكتوراة في الآداب، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٤م.
٨. خضر احمد عطا الله (د): الحياة الفكرية في مصر في العصر الفاطمي، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٩م.
٩. خضير نعمة هادى: مصادر تمويل التعليم من بيت المال فى العصر الفاطمى (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٨-١١٧١م)،قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية،العدد ٦٧، ٢٠١٦م.
١٠. عارف تامر(د): تاريخ الإسماعلية " الدولة الفاطمية الكبيرة"، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، ١٩٩١م.
١١. عبد الله محمد جمال الدين (د): الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩١م.
١٢. عبد الرؤوف جرار(د): سقوط الدولة الفاطمية في المغرب ونبذ التشيع، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع٢٠، ٢٠١٠م.
١٣. عبد الحليم عويس(د):قضية نسب الفاطميين، دار الصحوة ، ١٩٨٦م.
١٤. عبد المنعم ماجد(د): الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه، مكتبة الانجلو المصرية،ط٢، ١٩٨٣م
١٥. علي إبراهيم حسن(د): تاريخ جوهر الصقلي "قائد المعز لدين الله الفاطمي "، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م.
١٦. على عبد الحليم محمود (د):الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام القسم الاول،ادارة الثقافة والجامعة، جامعة الاما م محمد بن سعود، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
١٧. على صافى حسين(د): الادب الصوفى في مصر (ابن الصباغ القوصى شيخ التصوف في القرن السابع الهجرى)،دار المعارف بمصر.
١٨. عيسى بن سيف بن حمود: سياسة الظاهر لإعزاز دين الله في إدارة الدولة الفاطمية، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة مؤتة، ٢٠٠٥ م.

١٩. محمد جمال الدين سرور(د): تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٣م.
٢٠. محمد كامل حسين (د): في أدب مصر الفاطمية، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٥٠م.
٢١. محمد كامل حسين(د): التشيع في الشعر المصري في عصر الأيوبيين والمماليك، مجلة كلية الآداب، مج١٥، ج١، ١٩٣٥م.
٢٢. هيفاء عاصم محمد (د): وسائل التسلية والترفيه في مصر في العصر الفاطمي ٣٥٨-٥٦٧هـ / ٩٦٨-١١٧١م، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، مج١، ع ٦، ٢٠١٦م.
٢٣. يمنى رضوان(د): أصحاب الخبر والعيون في العصر الفاطمي (٢٩٧-٥٦٧هـ / ٩٠٩ - ١١٧١ م)، كلية الآداب، جامعة الفيوم، دن.